



مركز الملك عبد العزيز  
للحوار الوطني

# حوارك مع زوجك

د. فيصل بن سعود الحليبي

رسائل  
في الحوار

14 |





# حوارك مع زوجك

د. فيصل بن سعود الحليبي

٢٠١٢م / ١٤٣٣هـ

ح

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، ١٤٣٣هـ  
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

الخليبي، فيصل بن سعود

حوارك مع زوجك . د. فيصل بن سعود الخليبي، الرياض، ط ١، ١٤٣٣هـ

١٤٤ ص: ١٧ × ٢١ سم (سلسلة رسائل في الحوار: ١٤)

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٣٠٨-٣-٦

١ - الأسرة في الإسلامي ٢- الحوار أ - الزواج (فقه إسلامي)

ديوي: ٢١٩،١ ١٤٣٣/٤٦٠٧

الطبعة الخامسة، ١٤٣٨هـ

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٤٦٠٧

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٣٠٨-٣-٦

جميع حقوق الطبع محفوظة

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

الرياض، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

ص.ب. ٨٩٨٦٦، الرياض ١١٦٩٢

البريد الإلكتروني: [rs@kacnd.org](mailto:rs@kacnd.org)

[www.kacnd.org](http://www.kacnd.org)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المشرف العام

معالي الأستاذ: فيصل بن عبدالرحمن بن معمر

## نائب المشرف العام

الدكتور: فهد بن سلطان السلطان

## هيئة التحرير

- |        |                                  |
|--------|----------------------------------|
| رئيساً | أ. د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي |
| عضواً  | أ. د. عبدالله بن حسين الخليفة    |
| عضواً  | أ. د. محمد بن عبدالعزيز الحيزان  |
| عضواً  | د. خالد بن عبد الكريم البكر      |
| عضواً  | د. محمد بن عبدالله الشويعر       |
| عضواً  | د. فاطمة بنت محمد القرني         |
| عضواً  | د. نوال بنت عبدالعزيز العيد      |
| عضواً  | د. وفاء بنت حمد التويجيري        |
| عضواً  | أ. فاطمة بنت فيصل العتيبي        |

## إدارة التحرير

- أ. متعب بن سلمان الشمري
- أ. عبدالله بن ناصر الخريف
- أ. خلود بنت محمد الجبران
- أ. لطيفة بنت سالم المنيع
- أ. أسماء بنت عبدالله الواحد

## المحتويات

الصفحة	الموضوع
٩	مقدمة
١٧	المدخل
١٨	المحور الأول: الحوار.. طاولة الأفكار
٢٣	المحور الثاني: هل نستطيع أن نستغني عن الحوار الزوجي؟
٢٨	اللافتة الأولى: ثقافتك الحوارية من أين؟
٣١	اللافتة الثانية: الحوار متعة، وليس للمشكلات فحسب.
٣٤	اللافتة الثالثة: كيف نبدأ.. وكيف ننتهي؟
٤٦	اللافتة الرابعة: الخطوط الحمراء في الحوار.
٦٤	اللافتة الخامسة: تقنيات الحوار.. كيف نستفيد منها.
٦٩	اللافتة السادسة: الحوار والحياة.. النجاح والفشل.
٧٩	اللافتة السابعة: لغات أخرى في الحوار.
٨٦	اللافتة الثامنة: قفزات حوارية.. وقفزات حياتية.
١٠٣	اللافتة التاسعة: الحوار عقد يجب أن يكتمل.
١٠٤	اللافتة العاشرة: ثلاثون همسة حوارية.
١١١	الخاتمة
١١٧	المصادر المراجع

## تصدير

الحمد لله حمداً تقتضيه نعمه وآلائه، والصلوات والطيبات والتسليمات على النبي المختار، محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

جاء في أهداف تأسيس مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ترسيخ مفهوم الحوار وسلوكياته في المجتمع من خلال عدة برامج منها: اللقاءات، والندوات، والتدريب، والدراسات والبحوث.

ومن هنا عُني المركز بنشر كثير من المطبوعات التي تنسجم مع رسالته، وتحقق أهدافه.

وسلسلة رسائل في الحوار هي واحدة من المشروعات الفكرية التي أطلقها المركز، لتستهدف شرائح المجتمع كافة، ولذا رُوعي فيها سهولة العبارة، ووضوح المعنى.

ولما ينطوي عليه هذا المشروع من أبعاد ثقافية وفكرية نبيلة تلقى هذه الرسائل تفاعلاً إيجابياً من لدن الباحثين، حسب تنوع تخصصاتهم، الأمر الذي يدفع المركز إلى مزيد من الاهتمام بمثل هذه المطبوعات، ويضاعف - في الوقت نفسه - مسؤولياته تجاه المجتمع، في ظل دعم الدولة لجهود المركز ونشاطاته..

وهذا الكتاب الذي نضعه بين يدي القارئ هو أحد ثمار هذه السلسلة، والذي يحمل عنوان: ( حوارك مع زوجك ).

فللكتاب منا جزيل الدعاء والثناء، وللقارئ الكريم وافر الود والتقدير

والله من وراء القصد..

هيئة التحرير



## المقدمة

الحمد لله السميع العليم، والتواب الرحيم، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، أحسن الناس خَلْقًا وَخُلُقًا، وعلى آله وأصحابه الطيبين، وأزواجه المطهرات أمهات المؤمنين، وعلى من تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فلقد تفكرت طويلاً في جعل الله تعالى الحياة الزوجية آية من آياته، مقرونة بآيات عظام: كالإحياء والإماتة، وخلق البشر والسموات والأرض، واختلاف الألسنة والألوان وغير ذلك، فقال سبحانه: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الروم: ٢١).

فكم من الأسرار المذهلة التي تحملها هذه الآيات العظيمة حتى امتنَّ الله بها على عباده، ولا يزال أهل العلم يكتشفون كل لحظة شيئاً جديداً يدل على قدرة الله تعالى وحكمته، ولأن الحياة الزوجية واحدة من هذه الآيات؛ فإنها حملت مثل هذه الأسرار، التي كشف الله تعالى عن أجل مكنوناتها: السكن، والمودة، والرحمة، وإنما يظهر إعجازها للقوم المتفكرين والمتأملين.

إذ كيف تنسجم هاتان الروحان التي أتت كل واحدة منهما من بيئة تختلف عن الأخرى، وجاءت بتربية مختلفة، وأطباع مختلفة، وأنماط مختلفة، وتوجهات مختلفة، وتقاليد مختلفة، ومشاعر مختلفة، وربما بلغة أو لهجة أو أسلوب مختلف، ثم لا يلبثان إلا وتراهما لا يسكن أحدهما إلا إذا كان بين يدي الآخر، يبادلوه المودة، ويظله بالرحمة.

يقول سيد قطب رحمه الله: والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين، وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة، ولكنهم قلما يتذكرون

يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكوناً للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء.

والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يُصوّر هذه العلاقة تصويراً موحياً، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس: {لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}، {وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.. فيدركون حكمة الخالق في خلق كلٍّ من الجنسين على نحوٍ يجعله موافقاً للآخر، ملبياً حاجته الفطرية: نفسية، وعقلية، وجسدية، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار، ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتماء، والمودة والرحمة؛ لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد<sup>(١)</sup>.

والسؤال: ما هو إسهام الزوجين في تحقيق هذه الآية ومقاصدها النبيلة في حياتهما:

- هل يمكن أن يحققها بالتسلط والغطرسة؟
- هل يمكن أن يحققها بالعنف (قولاً وفعلاً) بكل ألوانه القائمة؟
- هل يمكن أن يحققها بتجاهل المشاعر وإهمال الأحاسيس؟
- هل يمكن أن يحققها بالتعنت وتوليد المشكلات وعدم القدرة على إنهاؤها؟
- هل يمكن أن يحققها بعدم معرفة فنون التواصل والتدريب على مهارات الحوار التي هي سحر البيان، ومفتاح القلوب وبهجة النفوس؟

إن الحديث عن الحوار وآدابه ومنطلقاته وأساليبه ومعوقاته في شأن كل المتحاورين البشر أمر في غاية الأهمية، غير أن الحوار بين الزوجين يتخذ أهمية أعظم؛ لأنه حوار بين اثنين بينهما رابطة غير مؤقتة بزمن، وغير محصورة بمكان، قد أحلَّ الله لهما من العلاقة الحميمة ما لم يحله مع غيرهما، وجعل بينهما من الميثاق ما وصفه بقوله سبحانه: {وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} (النساء: ٢١)، ووثق العلاقة بينهما بما يهبهما الله تعالى من الذرية ما يشاء ويختار، وجعل العشرة قائمة على ميزان العدل والمعروف الذي لا تهضم فيه الحقوق، ولا يُساء فيه الأدب، بل تُسارع فيه النفس الطيبة إلى التودد والرحمة والأنس والفرحة بشريك الحياة، فإن تعالى يقول: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} (النساء: ١٩).

تقول الدكتورة وداد العيسى: ولذا فإنه عندما يستطيع أحد الزوجين أن يطوِّع حوارهِ ليقدم أفكاره ومشاعره بالطريق الصحيح؛ فإنه في طريقه لأن يطوِّع شريك حياته لإشباع حاجاته وتنفيذ ما يريد<sup>(٢)</sup>.

لذا كان لزاماً على كل زوج - ذكرًا كان أم أنثى - يطمح إلى حياة زوجية يحقق فيها آماله وغاياته أن يعلم أن سبيل ذلك هو الحوار؛ تلك الوسيلة الراقية التي كلما أخلص فيها الزوج نيته فيها، وأيقن بأهميتها، وأتقن فنونها ومهاراتها، وتدرَّب على بدئها وختامها، كلما كان أجدر بالوصول إلى سعادته، ليس في الدنيا فحسب، بل وفي الآخرة أيضًا، فالحياة الزوجية السعيدة حقًا أوسع من مدى هذه الدنيا الفانية؛ لأنها تبقى في الأخرى الباقية، وقد بشرَّ الله تعالى عباده المؤمنين بذلك فقال سبحانه: {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِشْرَتُ الدَّارِ، جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ

(٢) مثلث التوافق الزوجي، بتصرف يسير د. وداد العيسى، ص: ١٠١.

عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ { ( الرعد : ٢٤ ) .  
الكناري .. تلك الطيور التي تسمى بـ (طيور الحب)، كثيرون تشدهم ألوانها،  
ونعومتها، وجمالها، وتدعوهم إلى التأمل أكثر حينما يرونهما زوجين متقاربين  
في النسق، واللون، والصوت، والنشاط، غير أنني لمحت فيها أموراً أخرى، شدتني  
إلى أن أعنون كتابي باسمها؛ من بينها: ذلك التناغم الجميل في أداء تغريدها  
حينما يأخذ منهما حصته من التغريد، من دون أن تعكر نغماته على نغمات  
الآخر، وتلك الالتفاتات المملوءة بالنظرات الآمنة، وتلك القفزات المشتركة بينهما  
تحكي لك فرحة بعضهما ببعض، وانسجامهما في حيوية ونشاط، وربما اعتلت  
أصواتهما في لحظة من اللحظات لتعود فجأة إلى الهدوء والسكينة، وسوف  
ترتسم الابتسامة على شفتيك حتماً حينما تقع عينك عليهما وهما يتبادلان  
حبات الطعام في رومانسية غاية في الصدق والمهارة، لم أعد بعدها أستغرب من  
بعض كبار السن حينما يرون زوجين منسجمين متحابين لم يستطيعا أن يخفيا  
لطف المعشر بينهما أن يقولوا في حقهما: كأنهما كناري !!  
أيها الزوجان الكريمان .. نعم أنتما أقصد .. فكلماتي في هذا الكتاب سطرتهما  
لكما، لم أدونها للمختصين، ولا للأكاديميين، بل لكما أنتما .. وإنما حداني إلى  
ذلك فرط حرصي على حياتكما أن تكون ممتعة سعيدة، ومفعمة بالحب وجميل  
الوصل .

ولذا أرجو أن تكون أفكارها خفيفةً في ظلها، جليةً في أسلوبها، سهلةً في  
تطبيقها، متمنياً أن تصلا في نهاية مطافها إلى لذة حقيقة تتذوقانها في تبادلكما  
أطراف الحديث فيما بينكما، وتنعمان بظلال الحوار الممتع، حتى يجركما الشوق

إلى الحوار بعد الحوار، والأنس بعد الأنس، لتحقيقنا بحواركما - بعد توفيق الله تعالى - ما تصبوان إليه من سعادة، لكما ولأسرتكما ولمجتمعكما .  
وأما خطة الكتاب ، فقد جعلتها - بعد المقدمة - في مدخلٍ ، وعشر لافتات ،  
جاءت على النحو الآتي :

• المدخل : ويتضمن محورين :

المحور الأول : الحوار .. طاولة الأفكار .

المحور الثاني : هل نستطيع أن نستغني عن الحوار ؟

• وأما اللافتات العشر فهي :

- اللافتة الأولى : ثقافتك الحوارية من أين ؟

- اللافتة الثانية : الحوار متعة ، وليس للمشكلات فحسب .

- اللافتة الثالثة : كيف نبدأ .. وكيف ننتهي ؟

- اللافتة الرابعة : الخطوط الحمراء في الحوار .

- اللافتة الخامسة : تقنيات الحوار .. كيف نستفيد منها .

- اللافتة السادسة : الحوار والحياة .. النجاح والفشل .

- اللافتة السابعة : لغات أخرى في الحوار .

- اللافتة الثامنة : قفشات حوارية .. وقفزات حياتية .

- اللافتة التاسعة : الحوار عقد يجب أن يكتمل .

- اللافتة العاشرة : ثلاثون همسة حوارية .

سيلاحظ القارئ المتخصص أنني ابتعدت عن المقدمات المعهودة في التعريفات ونحوها - وإن كانت مهمة - ؛ لأنها أخذت نصيبها الوافر في إصدارات مركز

الملك عبد العزيز للحوار الوطني وغيرها من الكتب والمؤلفات، وحاولت التخفيف من التعقيد والترقيم؛ لأتخذ من الهمس الرقيق أسلوباً هادئاً أرجو أن يكون متناعماً مع ما ينشده الزوجان من الحياة الوادعة المريحة.

واتخذت من منهج القرآن الكريم والسنة النبوية مصدراً أصيلاً أستقي منه أسرار المتعة الحوارية بسكنها ومودتها ورحمتها، وكيف تمثّلت في أجمل صورها في حياة النبي مع أزواجه رضي الله عنهن أجمعين.

وإن كنت استفدت من جملة من المراجع المتخصصة في شأن الحوار، إلا أنني أردت أن أقدم أفكارى النابعة من اهتمامي الخاص بالحياة الزوجية منذ وقت مبكر من حياتي؛ إذ أكرمني الله تعالى بالزواج وأنا في التاسعة عشرة من عمري، فجزى الله خيراً والديّ الحبيبين على إعانتهم لي على هذا الخير مادياً ومعنوياً، وكان نصيبي أن وفقني الله تعالى في امرأة طيبة خيرة، أحسبها كذلك والله حسيبها، كانت ولا تزال مثلاً رائعاً للزوجة الصديقة، تشاطرنني كل ساعات الحياة بحلها ومرّها، فأسال الله أن يسعدهم جميعاً وأن يبارك في حياتهم.

وقدمت بعد ذلك كتابي: ( نبتة حب ) في الحياة الزوجية، فتفضّل الله عليّ فيه بقبول واسع من المختصين وعامة الناس، وطبع على نطاق واسع.

ولا ريب أن عملي خلال سبع سنوات متواصلات - ولا يزال بحمد الله تعالى - في مركز التنمية الأسرية بالأحساء جعلني في خضم الشؤون الأسرية بشكل يومي، بين الوقاية والإئتماء والعلاج، مما منحني - بعد الله تعالى - التواصل المستمر مع متغيرات الحياة الزوجية وظروفها المعاصرة، خاصة ما تلقّيته من البرامج التدريبية المكثفة التي يقدمها المركز بصورة دورية للمستشارين وغيرهم، واستقبال حالات

الاختلاف وبذل الوسع في تحويلها إلى حالات وفاق وانسجام بتوفيق الله تعالى .  
وجاء دور مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني الذي كان التواصل معه تدريباً  
وتدريباً قفزة في حياتي فيما يتعلق بالاهتمام بالحوار، حيث حصلت على شهادة  
المدرّب المعتمد في ثقافة الحوار، ثم درّبت المئات من طبقات المجتمع المختلفة -  
بحمد الله تعالى- على حقيبة مهارات الاتصال في الحوار .

فالشكر- بعد الله تعالى- لكل هؤلاء، وأخص بالشكر الجزيل خادم الحرمين  
الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية  
على هذه النهضة الحوارية العملاقة، التي انبثقت عن هذا المركز المبارك، الذي لم  
يعد نشاطه غير المحدود يخفى عن القريب والبعيد، في خططٍ مدروسةٍ متقنة،  
فيجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء، وأكرر شكري لهذا المركز وإدارته الموقرة،  
على أن منحوني ثقتهم لأقدم للقراء هذا الكتاب: ( حوارك مع زوجك ) راجياً  
من الله تعالى الإخلاص والقبول، والتوفيق والسداد، وغفران الزلل، والعفو عن  
التقصير، ومؤملاً في كل قارئٍ كريم أن يكرمني بتوجيهاته ونقده البناء، فهذا من  
التواصل النبيل الذي لا يستغني عنه صاحب فكر أو قلم .

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .





# المدخل

## المحور الأول

### الحوار.. طاولة الأفكار

## المحور الأول الحوار.. طاولة الأفكار

اتصل به صديقه وأسعده بخبر موافقته على زيارةٍ كان قد وعده إيّاها.. لا لشيء إلا ليتذوق ذلك الطبق الشهى الذي صنعته لهم زوجته حينما كانوا في رحلة خلوية.. شكره على مبادرته بالاتصال.. وفور إنهائه مكالمته.. اتصل مباشرة بزوجته ليخبرها بموعد الليلة المفاجئ.. ولتحضر ما اشتهرت به من صناعة ذلك الطبق المتميز..

• اتصل.. فاستجاب هاتفها الجوال لنغمة واحدة فقط، ثم انقطع الاتصال.

• لا بأس؛ فلربما لانشغال الشبكة أحياناً يحصل مثل ذلك..

• عاود الاتصال.. وكرره مراراً، غير أن الهاتف في كل هذه المرات يهتف بالنغمة غير المحببة: « عفواً.. إن الهاتف الذي تتصل به مغلق الآن.. فضلاً اتصل به في وقت لاحق.. وشكراً »

• ما الأمر؟

• لماذا تغلق الجوال دون اتصالي؟

• حتمًا لقد شاهدت اسمي قبل قليل.

• ما الذي أشغلها عني؟

• أو هناك من هو أهمُّ مني؟

• أو أنها تشاهد حدثاً في التلفاز.. فهي مغرمة به.

• لا.. لعلها نائمة، وهي لا تفضّل أن يقطع نومها شيء ولو كنت أنا.

• إنها لم تأبه بي ولا باتصالي!

• ماذا أصنع بهذه الزوجة غريبة الأطوار.. لا تزال تهتم بنفسها دوني..

ألقي نظرتين خاطفتين ووازن بينهما.. نظرة إلى عقارب الساعة.. تراءى له وكأنها تشير حفيظته بمرورها بسرعة، ونظرة إلى الطريق الذي بدا له وكأنه يتمدد عليه طولاً ومشقة!

قرر الذهاب إلى البيت بسرعة ليلقنها درساً من العتاب واللوم على هذه الغفلة غير المقبولة في هذا الظرف الطارئ، وبدأ يحشد من التساؤلات التي لن ينتظر جوابها منها بالطبع، ليس هذا فحسب، بل سيمنعها من استخدام جوالها أيضاً حتى تعرف من تغلقه في وجهه مرة أخرى..

لا.. لن أمرر هذا الموقف بسهولة؛ أردت أن أفخر بها بين زملائي وهي تهملني بهذا الشكل.. حسناً ما أحلمني عليك يا امرأة! غير أن الصبر له حدود.. وأظن أنني قد بلغت حدوده.

أوقف سيارته، ولا يزال يحتبس أنفاسه في صدره، وما زالت روحه تحتفظ بحرارة ذلك الحوار المتفرد في داخله.

دلف إلى منزله.. فقابلته بحرارة اللقاء كعادتها، لكنه لم يتحدث.. فبادرت قائلة: أرجوك، ساعدني في البحث عن هاتفي الجوال؛ فما زلت أبحث عنه منذ الصباح.. وقد فرحت حينما استمعت إليه قبل قليل حينما هتف لنغمة واحدة، وللأسف صمت بعدها، وببدو أنه فرغ من الشحن، وكنت أودُّ الاتصال بك مبكراً لأخبرك أنني صنعت لك الطبق الذي تحب والذي صنعته مرة لأصحابك! هنا.. تبددت كل تلك التساؤلات الحادة التي كان قد براها لها طيلة الطريق إليها.. ليلقنها الدرس الذي لن تنساه بالطبع!

أطلقَ نَفْسَه الآن.. وألقى بجسده المتوتر على أريكته.. فالزوجة الحبيبة غدت معذورة إذن.. وهي مع هذا لم تبدي عجبها من تجهمه عند دخوله وإن عرفت ذلك في وجهه.. وفوق ذلك كله أعدت له الطبق الشهوي الذي وعد صاحبه به

وإن لم تنوه له .. لكن قلبها على قلبه ..

هدأ وحمد الله وتذكر فضل الله عليه، فلولا لطفه سبحانه ثم حكمة هذه الزوجة وعدم تسرعه بإطلاق ثورته عليها لاشتعلت نار الاختلاف بينهما، ولربما تظلم بعضهم من بعض، ولربما تضاعف الأمر فلم تصنع الزوجة ما يريد من وليمة لصاحبه فوقع في الحرج، ولم يحقق ما يريد، ولربما أضاع ما لم يتوقعه أن يضيع . إن الحوار إذا فهم في حياتنا الزوجية خاصة بأنه: نقل الأفكار إلى الطرف الآخر دون تبادلها، فإنه لن يتحقق مهما ادعينا ذلك أو زعمنا أننا اتخذناه أسلوباً في الحديث مع الطرف الآخر أو أوهمناه أننا نتعامل معه به .

فماذا على صاحبنا لو أنه استبدل تلك التساؤلات الأحادية بحوار أكثر توازناً، وأهدأ استفساراً، وأبعد عن الأحكام الغيائية التي يملها الشيطان ليفسد عليهما حياتهما، فهو أحرص ما يكون على ذلك، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: ( قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ قَالَ الْأَعْمَشُ: أَرَاهُ قَالَ فَيَلْتَزِمُهُ )<sup>(١)</sup>.

وما الأمر إلا سؤال يطرحه بكل تعقل: أين هاتفك الجوال؟ فتجيبه بالواقع، فينتهي الموقف بكل سلام، بعيداً عن الظنون والشكوك، فضلاً عن الأوهام والأحكام . تقول د. سحر طلعت: « قد يتصور بعضنا أن التواصل الجيد يمنع حدوث المشكلات والخلافات الزوجية، وهذا خطأ كبير؛ فالتواصل الفعال لا يمنع حدوث المشكلات، ولكن يعين على حلها حلاً أيسر وأسرع، ولا يدع لها مجالاً لتفسد العلاقة بين الزوجين»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (٥٠٣٢) .

(٢) فن التواصل بين الزوجين، د. سحر طلعت: ١٨ .

لماذا نحب أن ننقل أفكارنا: ما نحبه، و ما نكرهه، والآراء، والمعتقدات، والطبائع، وكثيراً ما نقرنها بعبارات الإلزام والفرض.. وأنها الصائبة دون غيرها.. وأنه لا يمكن التراجع عنها.. هذا إذا لم تخلُ من الأيمان المغلظة أو التحديات للطرف الآخر.. هل تراني مبالغاً؟

لا أعتقد ذلك، فإن جملة كثيرة من حواراتنا الزوجية تتجه نحو هذا الاتجاه.. ونظرة ولو عابرة إلى نسب الطلاق العالية في مجتمعاتنا يعلم الناظر كم سبق كلمة الطلاق من حوارات أغلبها حدث بهذا الأسلوب المنحرف.. وهل يمكن أن يقع طلاق بين زوجين وهما يتبادلان الابتسامات؟! لا.. طبعاً، ولكن لا نريدهما يتبادلان الشتائم أو التهم أو يفضح بعضهما أسرار بعض.

إننا لا نطلب شيئاً مستحيلاً ولا صعباً لو أننا عرفنا أهميته وأثره، وإنما نطلب من الزوجين أن يعطي كل منهما الفرصة في نقل فكرته إلى الآخر بكل لباقة وأدب واحترام وإنصاف، حتى ولو كانا في حالة اختلاف شديد، فإن الله تعالى قال: {وَلَا تَسُوا الْفُضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (البقرة: ٢٣٧).

ولست هنا لأفيدك بهذا المعنى الذي وإن كان حاضراً في الأذهان إلا أنه غائب عن الواقع، بقدر ما أريد أن أقنعك بجدواه؛ لتسعد به، ولتفرح به شريك حياتك، ولتصلا به إلى أهدافكما في الحياة، بل إلى مقاصد الشارع الحكيم من اقتران بعضكما ببعض، فالله تعالى يقول: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الروم: ٢١).

لا تقل لي: لا أستطيع.. أو: حاولت ولم أوفق.. أو: ليس من طبيعتي ما تدعوني إليه.. لا تقل هذا، فالعملية الحوارية لا تتطلب منك إلا أنك كما تحب أن تتحدث بما في نفسك، فامنح غيرك هذه الفرصة ليتحدث إليك.



# المحور الثاني

## هل نستطيع أن نستغني عن الحوار الزوجي؟

## المحور الثاني

### هل نستطيع أن نستغني عن الحوار الزوجي ؟

لا تظن أنني أريدك من أول وهلة تجيبني بـ: ( لا )؛ لأنك تستطيع بلا ريب أن تقول: ( نعم )، فما الذي يمنع أحد الزوجين أن يتحدث مع الآخر؟ لكن ما شأنهما من غير حوار؟ إنك ستنتفق معي أن الله تعالى حينما خلق حواء لآدم - عليهما الصلاة والسلام - خلقها لتنتقل عملية عمارة الأرض بالبشر، وخلافتهم فيها، {قَالَ اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ، قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} (الأعراف: ٢٤-٢٥). غير أن سياقات آيات كريمة أخرى في مواضع عدة نجدتها تتحدث عن أهداف اجتماعية ونفسية أخرى، هي لبُّ هذه العمارة وأسها الصلب الذي تبنى عليه، ومن ذلك قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}، فأين عمارة الأرض هنا؟ وقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الروم: ٢١)، وأين عمارة الأرض هنا أيضًا؟!

ليست عمارة الأرض هنا مفقودة حقيقة، وإن فُقدت لفظًا، بل لأن الأرض لا يمكن أن تُعمر ببناء صحيح متماسكٍ يضمن لها الحياة السوية، والعيشة الهنية، إلا حينما تتوافر فيها تلك المعاني السامية: السكن، والمودة، والرحمة، التي تمثل العمارة المعنوية لب العمارة الحسية ونواتها.

ولا أجد - في حد نظري وتجربتي - طريقًا أسمى وأرقى من طريق الحوار بين الزوجين للوصول بقلبيهما نحو السكن بكل معانيه، والمودة في أمتع صورها، والرحمة إلى أقصى حدودها.



فالحوار من جنس الضرورات التي لا غنى للإنسان عنها ليوجد به وسائله، فضلاً عن غاياته، فكيف إذا ارتبط بزوج؟ فالحوار هنا يكون أشد ضرورة، وأكثر إلحاحاً، فماذا نتوقع لأهل بيت يفقدون الحوار..؟ إنهم لن يموتوا بالطبع، ولكن ستموت لديهم كل الأماني، والأحلام، والمشاعر، وتغدو حياتهم من غير حياة، كأرض قاحلة تتشقق نضوباً وجفافاً، ترتجى قطرات الندى؛ لتخفف عنها لهيب الجفاء، يتوارى نظرك قسراً عن أغصان أشجارها النحيلة؛ لأنه سينقلب إليك خاسئاً وهو حسير؛ من شدة الأسى الذي يعتريها، والظمأ الذي تشكوه.

الحوار - أيها القارئ الكريم.. ويا أيتها القارئة الكريمة.. هو الحياة.. وأي حياة من دون حوار..

والحوار أيضاً من جنس الحاجات الذاتية المشتركة؛ فهو يلبي حاجة للنفس، ولكنه مرتبط بالتفاعل مع الآخر، بخلاف الطعام مثلاً؛ فإن حاجته ولذته للنفس فحسب، ومثله النوم، من هنا لم يكن لطرفي الزواج خيار في الانطلاق والمبادرة نحوه من غير تردد، غير أنه لا بد أن يكون كما يجب أن يكون، ليحققا به ما يجب أن يتحقق.

ولذا تقول الدكتورة: وداد العيسى: « على كل طرف أن يسعى إلى تحسين التواصل مع الطرف الآخر، ومن الممكن أن يحدث تحسّن كبير في العلاقة الزوجية لو أن كل طرف أراد أن يحسّن طريقة حوارهِ»<sup>(١)</sup>.

يقول د. مأمون مبيض: « من المفيد أن يتحدّث الإنسان عن نفسه في الحياة اليومية، فيتكلّم عن حاجاته، ويطلب بما يريد، بدلاً من الافتراض أن على الطرف الآخر أن يعلم بماذا يريد»<sup>(٢)</sup>.

(١) مثلث التوافق الزوجي، د. وداد العيسى: ٨٥.

(٢) التفاهم في الحياة الزوجية، د. مأمون مبيض: ١٤٩.



## اللافتات العشر

- اللافتة الأولى: ثقافتك الحوارية من أين؟
- اللافتة الثانية: الحوار متعة، وليس للمشكلات فحسب.
- اللافتة الثالثة: كيف نبدأ... وكيف ننتهي؟
- اللافتة الرابعة: الخطوط الحمراء في الحوار.
- اللافتة الخامسة: تقنيات الحوار.. كيف نستفيد منها؟
- اللافتة السادسة: الحوار والحياة.. النجاح وال فشل.
- اللافتة السابعة: لغات أخرى في الحوار.
- اللافتة الثامنة: قفشات حوارية.. وقفزات حياتية.
- اللافتة التاسعة: الحوار عقد يجب أن يكتمل.
- اللافتة العاشرة: ثلاثون همسة حوارية.

## اللافتة الأولى

### ثقافتك الحوارية من أين ؟

كثيراً ما يتحدث علماء الاجتماع عن أثر البيئة التي نشأ فيها الزوجان في حياتهما الزوجية، حيث يتقمص كل واحد منهما الشخصية التي رسخت صورتها في ذهنه شكلاً ومضموناً ممن عاش في أكنافهما، بالرؤية والسمع والتعامل، من أب أو أم، ولا ينبغي أن يفهم القارئ هنا أنني أحكم الآن على حياة الزوجين بالفشل؛ لأنهما سارا على الطريق نفسه الذي سار عليه الأبوان، فلعلهما يوفقان في بيئة ناجحة متميزة، عاشت بتوازن وانسجام، سواء أكانت متعلمة فنفعها علمها أم كانت ذات تجربة موفقة فاستفادت من تجربتها، فينعكس ذلك كله على الزوجين، ليعيشا على نحو هذا الأسلوب، فتسير حياتهما كما سارت .

### ولنقف هنا ثلاث وقفات :

**الأولى:** أن هذا يعد نادراً جداً؛ فإني أكاد أجزم أن لكل زوجين مكونات ذاتية وخارجية تختلف بنسب عالية عن أي شخصين آخرين مهما كان القرب أو البعد، وتنزيل واقع أسرة تكوّنت قبل عشرين سنة تقريباً على أسرة حديثة التكوين أمرٌ في غاية التعقيد، بل إن هذه البذرة الاختلافات التي إن لم تظهر على السطح، فإنها ستغلي من الداخل .

**الثانية:** أن هذا لا نعهده نجاحاً كاملاً؛ لأن الزوجين هنا تذوّقا جزءاً من لذة النجاح حينما رضيا بالقليل منه، وهو الرضا بالطرف الآخر طبقاً لبيئته التي نشأ فيها، وليس طبقاً لمكوناته الشخصية التي يتفرد بها عن غيره وإن اشترك مع غيره في بعضها، فأكثر ما يمكن أن يقال عن ذلك بأنه: ( رضاً ) فحسب، والرضا لا بأس به إن فقدنا النجاح !

**الثالثة:** أن المعطيات البيئية مختلفة بين جيل وجيل، ولا يشك أحدٌ كم لهذه المعطيات من آثارٍ بالغة في تحديد مسار الأسرة وتوحيد صفها، أو بعثرة ألفتها وتفريق لحمتها .

وعلى أي حال، فالزوجان هنا مع رضا كل واحد بالطرف الآخر أو قبوله على نحو قبول أفراد بيئتهما السابقة سيقابلان حياتهما بمزيد تحدٍّ؛ لأنه كلما واجه أحدهما موقفاً؛ فإنه سيسقطه على الموقف المماثل أو المشابه له في تلك البيئة، ويقوى التحدي كلما اتحدت المواقف المعاصرة بالسابقة، وبرزت الاختلافات بين المكونات الشخصية، فالتعامل حتماً مع هذا التباين سيبدو عليه الاضطراب والقلق. وإذا كنّا قسونا قليلاً بعدم الحكم بالنجاح الحقيقي على من نقل تجربة بيئة ناجحة سابقة إلى حياته، فماذا سنقول عمن لم يوفق في بيئة ناجحة أصلاً؟ فإنَّ نقل تلك التجربة الفاشلة إلى حياة زوجية جديدة مأساةً جديدةً أكثر دماراً وأعظم خطراً.

### فلماذا هذا كله؟

لقد كان الحوار بين الزوجين واحداً من ضحايا التوارث الأعمى الذي يفتقد التبصر وإعادة النظر:

فإذا كان الأب لا يتيح فرصة الحديث للأم في أثناء تحدّثه إليها، فإن الزوج (الابن) سيرى أن ذلك هو الأسلوب الأمثل لتسير الحياة وفق ما يحقق المصلحة كما يراها هو.

وإن كان الأب يستعمل السباب والشتائم في أثناء كلامه للأم؛ فإن ابنه سيستعملها؛ لأنه ربما فهم أنها الوسيلة الناجحة لإخضاع زوجته لرأيه ولو لم تكن تقبل به.

وإن كانت الأم اتخذت الكذب مطية دائمة في إخبار زوجها بمواطن ذهابها وإيابها، فإن الزوجة (ال بنت) ستتخذها هي أيضاً؛ لأنها تشعر بنجاتها من اللوم كما نجت أمها من قبل.

وإن كانت الأم تصرخ بشدة حتى إسماع الجيران في أثناء الحوار، فإن ابنتها ستصرخ مثلها؛ إيماناً منها بنجاح هذا الطريقة في إسكات الزوج، ووضع حدٍ

لتسلطه لخشيته الفضيحة، كما كان أبوها يخشاها من أمها!  
القضية بهذا الشكل دوامة من الانحراف الحوارى يتوارثه الأجيال جيل بعد جيل، والزوجان هنا لا يحتاجان إلا إلى شجاعة علمية وثقافية يأخذان بها حقهما من الوعي والإدراك لحياتهما الجديدة في تكوينها، والمختلفة عن حياة غيرهما. ولم يعد لأحد عذر في وقتنا الحاضر في أن يجهل ثقافة الحوار الناجح، مع توافر المعلومة، وانتشارها، وسهولة الوصول إليها، ووجودها في قوالب مختلفة، وأشكال جذابة.

فإن كانت العلاقة الجنسية تغلب كهاجس يؤرق الزوجين التعرف إلى تفاصيله ليؤديانه بكل احتراف ومتعة، فإن الحوار يجب أن يسبق الاهتمام به وتعلمه إلى ذهن الزوجين، وأن يضعنا نصب أعينهما أن يبلغا به درجة من المهارة العالية التي تمكنهما من كل متعة وانسجام.

والحوار.. ليس علمًا نظريًا فحسب ليستطيع المرء أن يناله بالقراءة فقط، أو تجربة لآخر يمكن أن يطبقها في حياته الخاصة، بل هو مزيج بعيد عن التعقيد، تأتلف فيه الفكرة بالمفهوم، والنظرية بالتطبيق، والمعلومة بالمهارة، أسرع ما يوصل الزوجين إلى ملك زمامه والتمرس عليه هو: التدريب المهاري، الذي يجمع بين ذلك كله، وهو وجبة سهلة وممتعة وسريعة، ربما كانت له نقلة في حياته تظل محطة تغيير فكري وسلوكي مميز.

ولا غنى للزوجين عن القراءة الذاتية للكتب المتخصصة في الحوار؛ إذ إنها ذات كثافة معلوماتية غزيرة، ولست أقصد ( الكم ) هنا، بقدر ما تتركه القراءة الذاتية على القارئ من أثر في تقمصه للفكرة التي يقرأها، وتجعل له فرصة رائعة للتخلص مما علق في ذهنه من الصور الحوارية السلبية التي ورثها والتصقت في ذاكرته، ليتعرف بكل منطقية إلى السبيل الأقوم والميدان الأرحب لمعنى الحوار الناجح ومقوماته ومهاراته.

## اللافتة الثانية

### الحوار متعة، وليس للمشكلات فحسب

الحوار الزوجي ليس أداة لحل المشكلات فحسب، ولا أسلوباً لإدارة النقاشات الحادة فقط، ولا سلاحاً يشهر في وجه التقصير أو للمحاسبة على العثرات أو الأخطاء، أو جدلاً تُفند به المزاعم وتُبطل به الشكوك .

لا.. بل هو من ألد أنواع وسائل الاتصال بين المشاعر، تُوطد به العلاقات، وتتبادل به الهمسات، وتخلق على متنه معاني الحب والغرام، وتسمو به النفوس الكبيرة، تبدي به تراحمها وتعاطفها، وتستجلب به أحاديث الصباح في المساء، وأحاديث المساء في الصباح، وترسم فيه على ثغرها ابتسامات الود والرضا، والأنس والفرح، وعلى طاولته تنشر أفكارها من غير حدود؛ لأنها تثق فيمن تتحاور معه، فهي لن تلقى منه إلا صدرًا رحبًا، ولسانًا عذبًا، وعينين حبيبتين، وإن تباعدت الآراء، أو تعارضت الأفكار .

لقد نafs الجدل العقيم كثيرًا من حواراتنا الممتعة الشيقة، حتى وصلت الحال ببعض أسرنا أن فقدت الحوار بين أفرادها، وساد الصمت الممل على شفاههم، وسئمت الأسماع من سكونٍ أشد عليها من الصخب والضجيج، فمتى عرفنا ظاهرة: ( الصمت الزوجي ) إلا حينما فقدنا متعة الحوار بين الزوجين .

وحينما أقول: ( الحوار ) فإنني أقصد ما أرمي إليه في هذه اللافتة، وهو الحوار الزوجي الممتع، الذي هو بمنزلة النسيم الوداع الذي يحف الزهور والأوراق فيجعلها تتمايل بعضها إلى بعض طربًا وحنوًا، به تستل سخائم النفس، وتخفف من اضطرابها، وتزيح عنها كثيرًا مما يعلق بها من هموم الحياة وأكدارها ..

ولا أقصد ذلك الحوار الذي إن لم يكن في مشاكسات ولومٍ وعتاب .. فإنه يكون حديثاً رتيباً لا طعم فيه ولا رائحة :

- استيقظ .. فقد تأخرت عن عملك ...
- لا تنس أن تأخذ حقيبتك .
- فرغت الثلاجة .. فتذكر ذلك وأنت عائد .
- لا تتأخري في صنع الغداء فلدي اجتماعٌ بعد .
- أذكرك بأن تناولني ابنك دواءه في الوقت المحدد .
- يمكنك الاتصال بي حينما تحتاجين إليّ فحسب .

وبمثل هذه العبارات - التي لا بد منها - تسير الحياة روتينية على سكة حديدية، يومها مثل أمسها، وغدوها مثل رواحها، والأزواجُ والزوجاتُ يحلمون كثيراً حينما يقرؤون الروايات الغرامية، أو الأشعارَ الغزلية، أو حتى ما يشاهدونه عبر وسائل الإعلام من تمثيل للحياة الرومانسية، يحلمون أن يتذوقوا من عدوبة الحديث مع الطرف الآخر ما يتذوقه هؤلاء ولو تذوقوه شكلاً لا واقعاً!

ولكنني أرى أن اختلاف الفهم الحقيقي لوعاء الحوار الزوجي هو السبب في تأخر الزوجين عن ورود هذا المنهل العذب، ولو جرّباً طعمه، وتذوقاً لذته، لن يسمحا لأنفسهما أن يستبدلا به مرارة الشجار أو قسوة العنف ولو كان كلامياً، وإنما الكلام يريد الفعل، وقد يكون أكثر منه قسوة وأشد أثراً:

يموتُ الفتى من عثرةِ بلسانهِ      وليس يموتُ المرءُ من عثرةِ الرَّجلِ

ألا تستحق المتعة الحوارية أن نبحث عنها :

- بين الأخبار الجميلة لتبادل التعليق عليها ..
- أو بين الطرائف الباسمة لنبتهج بها ..
- أو بين الغراميات الحلوة لنتهامس بها ..
- أو في الخطط المستقبلية لنحلم بآمالها ..



- أو بين الذكريات الحلوة لنتندر بتفاصيلها ..
  - أو بين شؤوننا اليومية لندير دفتها بكل انسيابية ومرونة ..
  - أو بين أفكارنا العلمية والعملية لتنمو في طريق تجاذبنا لها
  - أو .. أو .. أو ..
- إنه يجب ألا أحدٌ من إبداعك في اختيار ميدان المتعة الحوارية بينكما، فالميدان أوسع مما نتوقع، وأرحب مما نكتب .
- فإن من الأزواج الأذكياء الذين يأنسون بالحوار ويستمتعون به، وارتبطوا بشريك حياة يفضل الصمت بعد الصمت، إن منهم من تراه:**
- من يقرأ ليقطف النادرة لتكون له نقطة البدء في الحوار ..
  - أو يطلع على أخبار غريبة لتكون عذراً لينطلق بها نحو صاحبه فيحدثه بها ..
  - أو يفتعل وقوعه على صورٍ عجيبة فيبدي انبهاره بها ويستدعي الرأي الآخر فيها ..
  - أو يحتفظ ببعض الرسائل القصيرة المميزة ليطلعها عليها وينتظر منه ما يمكن أن يقال في مثلها .
- طريفٌ ما اقترحه جاري تشبمان حينما قال: « اجلسا بجوار المدفأة أو بجوار (لمبة) برتقالية، ضع البطانية والوسادة على الأرض، وأحضرا المشروبات الباردة والفشار، وتظاهرا بأن التلفاز به عطب، وتحدثا فيما اعتدتما أن تتحدثا فيه في فترة الملكة حتى تشرق الشمس، أو يحدث أي شيء آخر، وإذا أحسستما أن الأرض أصبحت لا تحتمل اصعدا السلم، وناما في فراشكما، ولن تنسيا هذه الليلة أبداً » (١).
- أيها الزوجان الحبيبان: إن لم تشعرا بحرارة الشوق إلى بعضكما فاعلما أنكما لم تتذوقا متعة الحوار بعد، فإن للحوار متعة ولذة لا يعرفها كثير من الأزواج .

### اللافتة الثالثة

كيف نبدأ.. وكيف ننتهي؟

أولاً: كيف نبدأ؟

وفيها ثلاث نقاط:

أ- فكّر أولاً.. هل تبدأ؟

ب- قدّم التحية.. وأطلق محياك.. وصافح حبيبك.

ج- لا عشوائية في البدء.

وبيانها على الوجه الآتي:

أ- فكّر أولاً.. هل تبدأ؟

إن مرحلة مهمة تسبق الخطوة الأولى التي نبدأ بها حوارنا، وهي مرحلة التفكير

في صلاحية البدء بالحوار من عدم ذلك..

فإن معرفتنا أساليب البدء بالحوار لا تكفي في حوارٍ يجب ألا نبدأ فيه،

فجملةً من الناس يتخطون هذه المرحلة ثقة في أنفسهم أنهم سيبدؤون بالشكل

الصحيح، أو عدم اكتراثٍ بهذه المرحلة من التفكير، ولديهم قناعة بوصولهم إلى

النتائج المطلوبة، غير أنهم يُقَمَعون بألوانٍ قائمة من الصدود والتجاهل، وتراهم

بعد ذلك يعودون إلى مهاراتهم الحوارية باللوم والعتاب.. ليخرجوا بنتيجة سلبية

تقول: لم نجد فائدة من الحوار.

فهل ستبدأ الحوار مع شريك حياتك وهو:

• مستغرق في متابعة حدث إخباري مهم..

• أو مشغول بحوار مع طرف آخر..

• أو عيناه حمراوتان من شدة التعب والرغبة في النوم..

• أو متوتر من موقفٍ سابقٍ وقريب..

• أو في مكانٍ ظروفه الجوية غير مناسبة..

ربما نبدأ... ولكن علينا أن نتحمّل النتائج، ونحاول إعادة البدء من جديد، والمحاولة حينها ستكون ثقيلة بالطبع.

ليست العفوية أو التلقائية محمودة في البدء بالحوار، بقدر ما هي محمودة بعده؛ فإن عمق النظرة في حال الطرف الآخر، واحتواء ما يمكن احتواؤه من الظروف المحيطة به يساعد ذلك - بعد الله تعالى - على بدءٍ صحيحٍ لحوارٍ أكثر إيجابية.

إن الحوار عملية بين طرفين، فلا يحق لطرف أن يستأثر بمراعاة نفسه لكونه متهيئاً للحوار دون صاحبه، كما أنه يجب ألا يجامل المحاور صاحبه حينما يبحث له عن فترة استعدادٍ للحوار لا تناسبه هو، فإنه ليس لدينا مهم وأهم بين طرفي الحوار.

### ب - قدم التحية .. وأطلق محياك .. وصافح حبيبك ..

إذا تكاملت النظرة لضمان بدءٍ موفقٍ للحوار بإذن الله تعالى فهنا تنطلق مسيرة الرسل بين الزوجين: من طلاقة الوجه، وبهاء الحيا، وانفراج الأسارير للقبول الحبيب، والإقبال الروحي الذي يُرى وهجُ نوره قبل جمال الجسد، والتحية بالسلام، والمصافحة باليد، والترحيب بالكلمات العذبة ذات الإيقاع الجذاب، والجرس اللافت، وتقديم الطرف الآخر للمكان الأنسب له، وإشعاره بالراحة التامة حينما جلس إليه والتقى به، وغير ذلك مما يهيئ النفس ويريحها، ويجعلها أكثر تقبلاً لذات المحاور قبل حوارها.

كل ذلك يندرج تحت تعاليم إسلامية عامة يجب على الزوجين ألا ينغيها عنها؛ بحجج سقوط الكلفة بينهما، أو تطاول العمر عليهما.

فتأمل هذه الخطابات الشرعية المملوءة بأنواع من هذه الرسل التي تفتح آفاقاً من السلام والرحمة والطيب والبركة والحب والأمان، يحقق بها الزوجان في بدءهما حوارهما من الانسراح والأنس والمودة ما لا يمكن أن يحسبها له حساباً.

ففي شأن البدء بالتحية، قال الله تعالى: { فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } (النور: ٦١) .

وفي شأن الرد عليها قال سبحانه: { وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا } (النساء: ٨٦) .

وفي شأن إفشائها، جاء حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ( لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُوْمِنُوا، وَلَا تُوْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدْلُكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ مُحَابَّتُمْ؛ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ ) رواه مسلم .

وفي شأن أجرها: ورد حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ( السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَشْرٌ، ثُمَّ جَاءَ آخَرَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَشْرُونَ، ثُمَّ جَاءَ آخَرَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثُونَ ) أي من الحسنات (١) .

بل إن المبتدئ إقباله على أهله بالسلام داخل في ضمان الله تعالى، فهو مضمون بضمانه، وهل يشقى من ضمنه الله تعالى! فقد جاء في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: رَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُ فَيَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُ فَيَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَامٍ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: « إِذَا دَخَلْتَ عَلَىٰ أَهْلِكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ » (٢) .

(١) رواه الترمذي وقال: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، ورواه البخاري في الأدب المفرد: (٩٨٦) وقال الألباني: «صحيح».

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد، (١٠٩٥)، وقال الألباني: «صحيح الإسناد».

كل ذلك ونحوه فقط في السلام، فما بالك إذا اقترن بالمصافحة !  
فلم الاستغراب من سؤال يقول: متى صافحت زوجتك؟ أو متى صافحت  
زوجك؟

إن هذا السؤال ربما يثير الأشجان، ويحاول المسؤول هنا أن يتذكر متى لامست  
يدُه يدَ حبيبته للسلام.. وليس لأي أمر آخر.

ربما يكون ذلك في العودة من السفر.. أو في مناسبة كبيرة كالأعياد.. وأخشى  
أن أكون مجحفًا حينما أقول: في ليلة الزواج منذ كذا وكذا من السنوات.  
كل ذلك بحجة أنهما معًا يوميًا، وهما يرقدان معًا، فلم المصافحة إذن؟!

إنني لا أدعو هنا إلى إعادة بناء صرح المجاملة من جديد بعد ما أسقطته الأيام  
والسنون، ولكنها السنن المباركة التي افتقدناها في بيوتنا عامة وفي بداية حواراتنا  
خاصة، وافتقدنا معها نجاحات عدة، وبركات كثيرة، ثم نعجب من عدم قدرتنا  
على اجتذاب الطرف الآخر إلى حوار شائق، ويجعلنا أكثر فرحةً به.

إنها المصافحة ليست شكلاً أو روتيناً عابراً لا يُحدث أثراً حتى نهمله أو نخص  
به من هم في خارج دائرة المنزل دون من هم بداخله بدءاً من الزوجين، بل إنها  
تذهب الغل، وتكون سبباً في غفران الذنوب، وتدل على رقة القلب وصفائه.

فعن عطاء بن بن عبد الله الخراساني رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عليه وسلم: (تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الْغُلُّ وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ) (٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه لما جاء أهل اليمن قال النبي صَلَّى اللَّهُ  
عليه وسلم: (قَدْ أَقْبَلَ أَهْلُ الْيَمَنِ وَهُمْ أَرْقُ قُلُوبًا مِنْكُمْ) فهم أول من جاء  
بالمصافحة (٤).

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا

(٣) رواه مالك في الموطأ (٤٤) من كتاب الجامع، وقال ابن عبد البر: «وهذا يتصل من وجوه حسان كلها»، التمهيد ١٢/٢١.

(٤) رواه أبو داود (٥٢١٣)، والبخاري في الأدب المفرد، (٩٦٨)، واللفظ له، وقوله: (وهم أول من جاء بالمصافحة) مدرج من كلام  
أنس رضي الله عنه قاله الألباني.

مِنْ مُسْلِمِينَ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافِحَانِ إِلَّا غَفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا<sup>(٥)</sup>.  
لقد كشفت بعض الدراسات عن أن ٤٥٪ من الأزواج الأمريكيين لا يتصافحون،  
وأن ٥٥٪ من الأزواج البريطانيين لا يتصافحون، أما في العالم العربي، فالنسبة  
فعالاً تدعو إلى القلق، وكثير من التساؤلات حيث تبلغ ٧٠٪ منهم لا يتصافحون!  
سأنتفح معك أن جملة من الأزواج وقع الاتفاق بينهم لا شعورياً على عدم  
التصافح؛ خاصة بعد مضي عدد من السنوات يقدرها بعضهم بعشر سنوات أو  
أكثر، وأراها أقل من هذا بكثير في الواقع المشاهد من دون أن تظهر على سطح  
العلاقة أي مشكلة تهدد بالخطر، غير أن واقع الأمر أنهما افتقدا سرّاً من أسرار  
التواصل السحري وهما لا يشعران أيضاً.

أرجو أن يكون بعض علماء النفس مبالغاً حينما رأى أن عدم المصافحة بين  
الزوجين قد اقتربت من الطلاق العاطفي، أو أنه مؤشر يعلن عن عدم الرغبة في  
الحوار بين الطرفين، وأن العلاقة بينهما أشبه ما تكون علاقة لضرورة البقاء الأسري  
فحسب! لانعدام ما ينبئ عن غير هذا، وفي مقدمة ذلك: فقدان المصافحة.

صدّقاني: المصافحة لؤلؤة رائعة ضمن منظومة اللمس الماسية الجذابة، تتكفل  
- بإذن الله - بتدقيق المشاعر بين الزوجين بطريقة تختصر عليكما مسافات طويلة  
من الرغبة في الحميمية التي قد تعتربها عوامل الضعف والفتور بينكما، بها  
ستشعران بصدق العاطفة، ودفء المشاعر، وكرم النفس في تجديد الحياة بكل  
صفاء ونقاء.

وتكتمل دائرة السماح في بدء الحوار بطلاقة الوجه عند اللقاء، فإن في الطلاقة  
لسراً خفياً تهلّل به أسارير وجه المقابل فرحاً بها، واطمئناناً لرؤيتها، وكلما كانت  
الطلاقة أكثر صدقاً وعفوية كانت أكثر قبولاً وأبلغ أثراً.

من هنا جاءت الوصية بذلك في حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال لي

(٥) رواه أبو داود، (٥٢١٢)، وصححه الألباني، ورواه الترمذي وحسنه، (٢٧٢٧).

النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ( لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلَقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلَّقَ ) (١).

قال ابن عبد البر:

أزور خليلي ما بدا لي هُشُّه وقابلني منه البشاشة والبشرُ  
فإن لم يكن هُشُّ وبُشُّ تركته ولو كان في اللقيا الولاية والبشرُ (٢)  
أيها الزوجان الكريمان: إنكما بسلامكما وترحيبكما ومصافحتكما وطلاقة  
وجهيكما تمهدان الطريق لحوارٍ جميلٍ رائقٍ محفوفٍ بالسكينة والأمان.  
فإن الطلاقة عنوان جميل.. لمقولة حسنة.. لقلب صافٍ نقي، تجعل من ساعة  
الحوار موعداً مشوقاً ينتظره الزوجان بكل شغف؛ لطيب عبقها، وسحر بيانها،  
وكريم أثرها.

### ج - لا عشوائية في البدء..

ولماذا العشوائية؟ فما كانت العشوائية طريقاً للحوار الهادف يوماً؛ فإن من  
حقنا أن نستثمر الوقت استثماراً صحيحاً، ولا نهدره في دائرة مغلقة لا يُعرف  
أولها من آخرها، ولا يمكن ذلك إلا بعد تحديد نقاط الاتفاق والانتهاى منها، ثم  
الانطلاق في نقطة الاختلاف إن كان ثمة اختلاف، فإننا لو فعلنا ذلك سنكتشف  
أننا ندير حوارات كثيرة حول نقاط تبدو لنا محل اختلاف، والواقع أنها ليست  
كذلك.

فإذا كان موضوع الحوار هو حول موعد السفر لزيارة أهل الزوجة - مثلاً -  
فإنه يمكن أن تبين لها اتفاق معها على الآتي:

- أنك ترغب في هذه الزيارة.
- وأن هذا يسعدك؛ لأنه يسعدها.

(١) رواه مسلم، (٤٧٦٠).

(٢) الآداب الشرعية، (٥٢٤/٣).

- وأنتك سوف تحقق ذلك في هذه الإجازة القريبة .
- وأنكما ستمضيان فيها أسبوعاً كاملاً .
- وأنكما ستبعثان معكما بعض الهدايا .

فإذا اطمأنت النفوس إلى ذلك، واجتمعت الكلمة عليه، بقي موضع الاختلاف وهو: أي أسبوع سيكون ذلك، هل هو في أول الإجازة أم في وسطها أم في نهايتها؟ على سبيل المثال .

إننا بذلك نقلل من جهدنا حتماً، ونحافظ على وقتنا بلا ريب، ونشعر بأننا متفقون أكثر من شعورنا بخلافنا، ونصل إلى النتيجة بأسهل مما نتصور .

يقول الأستاذ محمد شمس الدين خوجة: « ابدأ من خلال النقطة المتفق عليها حتى لو كانت نسبة الخلاف بينك وبين الطرف الآخر ٩٩٪، ونسبة الاتفاق ١٪ » .  
ويعلل ذلك قائلاً: « إن الانطلاق من نقاط الاتفاق يجعل البداية هادئة ومنطقية، ويفتح آفاقاً للتلاقي، ويقلل الجفوة، ويوطد العلاقة، ويوثق الصلة، ويقلل من احتمالات الشر، ويزيد من فرص الخير»<sup>(١)</sup> .

وأقول: إن البدء بذلك يشعرونا بأننا نريد من حوارنا أن نتفق ولا نريد أن نختلف .

### ثانياً: كيف ننتهي ؟

إن كانت بداية الحوار توصل إلى نهايته؛ فإن نهاية الحوار منطلق لبدايته .  
ليس هذا رجوع على ذي بدء، فإن بداية الحوار مع أهميتها إلا أنها مسلطة على هذا الحوار فحسب، أما نهايته فهي منطلق لكل الحوارات التي ستأتي بعده .

- لم نعد نستغرب عددًا من العبارات التي تحكي نهايات مأساوية يندى لها جبين الزوجين أسفًا وحرزًا!
- لم أكن أتوقع أن يصل الخلاف إلى هذا الحد ..



- لا أصدق أنني أختتم لقائني معها بهذه الكلمات القاسية..
  - كيف جرأتُ أن تمتد يدي عليها أمام أولادها!؟
  - هل يعقل أنني حطمت الأشياء من حولي.. ورفعت صياحي على زوجي حتى أسمعتمُ جيرانني..
  - لماذا فررتُ إلى بيت أهلي.. الأمر لم يكن يستحق ذلك كله.. كيف سأعود إليه.. وماذا سأصنع بالأولاد!!؟
- إنني كما دعوت إلى التفكير في البدء بالحوار.. فإنني أكرر الدعوة إلى التفكير بعمق في إنتهائه، فليس الأولى بأحق من الأخرى.

هل تريد بإهمالك هذا التفكير أن تردد ما ردد الفرزدق حينما قال:

ندمتُ ندامةَ الكسعي<sup>(٢)</sup> لما غدتُ مني مطلقَةً نوارُ

أم تريد أن يحرقك الأسي كما أحرق هذه المرأة بسوء حوارها، وعدم إدراكها نهايته التي لم تحسب لها حساباً؟ حتى قال الشاعر د. محمود بن سعود الحليبي - على لسانها بعد أن فارقتها زوجها فبقيت حزينة كئيبه - فأنشدت تقول:

أنا ما هنتتُ بهَجْعةً أو لُدَّ لي	من بَعْدِ هجرِكَ مأكلي وشرابي
تسري ملامحك العذابُ بداخلي	وتدبُّ في بدني، وفوق إهابي
وأكادُ أسمعُ همسنا وحوارنا	في لونِ فستانني وفي أطيابي
أواه لو تدري حبيبي كم غدتُ	تُدمي شغافي دَفَّةَ الأبواب
هم يطرقون، وما دروا يا ويلتي	الطرق في قلبي وليس ببابي
زوجي الحبيب! شتاء بُعْدِكَ قارسٌ	ولديك وحدك سيدي جلبابي
لا.. لا تدعني في الظلام وحيدة	في ظلِّهم، أو جناحِ غراب

(٢) الكسعي: هورجل من كعب، اسمه غامد بن الحارث، وكان اتخذ قوساً وخمسة أسهم، وكان في طريق قطع: فرمى حملاً منه، فنقذ فيه السهم وصدم الجبل، فأرى ناراً فظن أنه أخطأ، فرمى ثانياً وثالثاً إلى آخرها وهو يظن خطأ، فعمد إلى قوسه فكسرها، ثم بات، فلما أصبح نظر فإذا الحمر مطرحة مصرعة، وأسهمه بالدم مضرجة، فقدم وقطع أنهمه.. وأنشد قائلاً:  
ندمتُ ندامةً لو أن نفسي  
تبلوغني إذا لقطعت خمسي  
تبين لي سفاه السراي مني  
لعمرك أيبك حين كسرت قوسي

جاريْتُ في سفهِ هوى أترابي  
وأسأتُ بين جهالةٍ وتصابي  
وامسح بعطفك عَشَوْتِي وضبابي  
حاشاك أن تسعى لجلب خرابي  
أنا لست أنكرُكم حلمتَ عليَّ إذ  
فمننتَ بين تحنُّنٍ وتودُّدٍ  
فاغفر بعفوك صبوتي وجهالتي  
روحي بحسك قبل بيتي عامرٌ

إنها زوجتك .. إنه زوجك .. إنكما لستما شخصيتين لن يرى أحدهُ منكما الآخرَ بعد هذا الحوار الساخن، بل أنتما معاً قلباً وقلباً مهماً افتعل كلُّ واحدٍ منكما الترفع أو إبداءَ صورة الاستغناء عن شريك حياته ..

إذا .. لماذا توقعان أنفسكما في الحرج بإنهاء الحوار بطريقة غير مجدية لا حالاً ولا مالأً؟ .. وإن كان الحال مرَّ بما مرَّ، فالمال ربما يكون أكثر مرارة وأشد حرجاً.

- فكيف ستلتقي بمن وقعت في شتمه أو تحقيره؟
- وكيف ستأنس به وتبش في وجهه؟
- وكيف ستقبله وتحتضنه؟
- وكيف ستبادل معه الابتسامات والأحاديث الحلوة؟
- وكيف ستبوح له بفرحك، وتبث له شجنك؟

إني أريد بهذه التساؤلات أن ألفت نظر الطرفين إلى لقائهما بعد فشل الحوار — لا قدر الله — وقد ألمح إليه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن زَمْعَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ( لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ أَمْرَأَتَهُ جِلْدَ الْعَبْدِ ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ <sup>(١)</sup> ).

إن على من فاتته رعايته بنهاية حوارهِ أن يتحمل مسؤولية النظرات الأولى التي تلي هذا الحوار، ويتحمل مسح الصورة السلبية العالقة في الذهن، وأن يتحمل بذل الجهد في استبدالها بصورةٍ إيجابية مشرقة ..

### فلماذا هذا كله ؟

ألسنا بحاجة إلى حوار ذاتي قبل الحوار مع شريك حياتنا، فإن « التوصل الفعَّال

مع النفس والتعرّف إليها هو أول خطوة نحو بناء علاقة سوية مع الحياة، ومن ثمّ مع شريك الحياة»<sup>(٢)</sup>.

فإننا لا نريد أن نعيش شخصية غير مفكّرة ولا شخصية غير مدبرة؛ فإن عددًا من الأسئلة التي يمكن أن تجيب عنها في ذهنك في طريقك إلى الحوار، تتعلق بنجاح نهايته، تكون ضامنة – بإذن الله تعالى – نهاية رائعة، تكون أكثر بهجة بالثمرة، وأكثر فرحة بالسعادة، وأكثر انتصارًا على الفوضوية، وأكثر تحقيقًا للهدف من الحوار.

ومن هذه الأسئلة على سبيل المثال:

- ماذا لو لم يتقبل مني فكرتي؟
- ماذا لو أني أخطأت في طرحي؟
- ماذا لو أنه فهمني فهمًا خاطئًا؟
- أو أساء الظن بي؟
- ماذا لو أنه غضب بسرعة؟
- أو تفاقم الأمر إلى إرادة الخروج من المكان؟
- كيف أعيد توازني في أثناء الحوار؟
- كيف أتغلب على فشل الحوار حينما تبدو بوادره؟
- كيف أنهي الحوار لو لم نتفق على شيء؟
- ماذا لو أنهيت اللقاء بالغلظة والإدبار والغضب؟

فكم واحدًا منا حاور ذاته بمثل هذه الأسئلة قبل أن يحاور زوجته؟

فإن مثل هذه الأسئلة حقها أن تطرح على الذات لتتصور المصير، وليس حقها أن تطرح بعد أن يقع ما لا تحمد عقباه لا قدر الله، فإن جعل جميع التوقعات يجعلك أكثر قدرة على استيعاب أيّ ردة فعل، سواء أكانت إيجابية، فتتعامل

معها بإيجابية أفضل، أم سلبية لتحاول التخفيف من صدمتها والخروج منها إلى حال أحسن.

ولست أريد أن ننتظر الخاتمة ليكون للمتحاورين ردة فعل عليها فقط، فضلاً عن أن تقع المفاجأة بها، إنما أريد أن يقود المحاور حواراً مع زوجته نحو نهاية رائعة متوقعة لدى الطرفين، يبدو فيها الانسجام والتفاهم الحقيقيين، ليحققا بذلك نجاحاً باهراً لحوارهما، وأماناً لعلاقتهما، وأملاً مشرقاً للقاءاتهما الحوارية خاصة، ولحياتهما الزوجية عامة

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه لزوجته: «إذا غضبتِ أرضيتكِ، وإذا غضبتُ فارضيني؛ فإنكِ إن لم تفعلني ذلك فما أسرع ما نفترق»<sup>(١)</sup>.

### ويظهر نجاح نهاية الحوار في جانبين:

الأول: الجانب العاطفي، حيث يؤكد الزوجان حبهما بعضهما بعضاً وأن ما حدث بينهما من تبادل للحديث أو الأفكار مهما ثقل عليهما أو على أحدهما إلا أنه لا ينقص مثقال ذرة من الود والحب، وهو كما يقال: الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، وعلى الزوجين أن يعززا هذا الجانب بأي أسلوب يريانه مناسباً بينهما في اللحظات الأخيرة من الحوار، وقد رأيت أن من أجمل ما يمكن أن يؤثر في ختام الحوار عاطفياً هو التأكيد على أنه لم يزد هما إلا حباً وقرباً وانسجاماً، وأنهما لن يبعدا عن حال الشاعر مع محبوبته حينما قال:

صدودك عني إن صددت يسرني	ولم أر قبلي عاشقاً سرَّ بالصدِّ
سررتُ أني تيقَّنتُ أنما	دعاك إليه رغبة منك في ودي
ولو كنت فيه تزهدين لساءه	ولكنما عتَّبُ المحبُّ من الوجد
فيا فرحةً لي إذ رأيتك تعتبي	عليّ لذنْبِ كان مني على عمدٍ <sup>(٢)</sup>

(١) رواه ابن عساکر بسند في تاريخ مدينة دمشق، (١٥١/٧٠).

(٢) روضة المحبين لابن القيم: ٢٧٨.

أو كقوله:

إني لأمنحك الصدودَ وإنني قسماً إليك مع الصدود أميل<sup>(٣)</sup>.

الثاني: الجانب الفكري: فإن عليهما أن يلخصا ما توصلا إليه من أفكار، سواء اتفقا عليها أو اختلفا فيها، ويظهران الاحترام لكل رأي، والفرحة بالتوصل إلى ما اتفقا عليه، وإذا كان الأمر يتعلق بأمر عملي، فإنه يحدد كل ما يتعلق به من زمان ومكان وغير ذلك، ليتحوّل الكلام إلى واقع عملي ملموس.

يقول د. مأمون مبيض: «يفضل عند الحديث والاستماع أن نفتح مجالاً للتنفيس والتعبير عن المشاعر والأحاسيس بدل مجرد البحث عن الحلول، وإذا كان هناك حاجة إلى مزيد من الحلول؛ فيمكن بعد التعبير عن المشاعر والاستماع إليها أن تظهر بعض الأفكار أو المؤشرات إلى الحل المطلوب، ولا بأس أن يأخذ هذا الأمر بعض الوقت»<sup>(٤)</sup>.

(٣) فتح الباري، (٢٣٧/٩).

(٤) التفاهم في الحياة الزوجية، د. مأمون مبيض: ١٢٦.

## اللافتة الرابعة

### الخطوط الحمراء في الحوار

حتى في الحياة الزوجية ستضعون لنا خطوطاً حمراء  
إنني أفترض أنكما قلتما ذلك .  
فإنها سنة الحياة أن تكون لك في كل شؤونك خطوطاً حمراء لا يجوز تجاوزها،  
سواء أكانت دنيوية أم أخروية .

ولماذا نتبرم من حمرة هذه الخطوط ما دام الوقوف عندها يضمن لنا - بإذن الله  
تعالى - السعادة والفرحة، والأمان والطمأنينة، فالإنسان بطبعه يقدم على لذته  
ورغبته ولو كانت مضرة به، فهل تصدق أن من يتعاطون التدخين أنهم لا يعلمون  
مضرته، أو من يقعون في الزنا لا يعلمون أذاه . كلا . . ولكنهم غلبتهم شهواتهم  
حتى طغت على عقولهم، وللأسف أن عدداً منهم لا يفيقون إلا بعد أن يذوقوا  
بعضاً من أحزانها وشدائدها .

فالإشارة المرورية الحمراء - مثلاً - لم تكن يوماً من الأيام إلا شاهدة على حسن  
النظام والتنسيق وراحة البال والسلامة من كل مكروه بإذن الله تعالى .  
غير أن هناك من يغضب منها، ويتمنى زوالها؛ لأنه يرى أنها تؤخره عن بعض  
أعماله المهمة .

وأي شيء أغلى من روحه بعد إيمانه .  
حقاً إنها رؤية قاصرة جداً، لا تفني بغرضه، ولا تحقق له أمله، وإن إغفالها ربما  
كلفه كثيراً، وأخره أمداً بعيداً، وأحزنه حزناً شديداً .  
جميل أن نحترم الخطوط الحمراء ما دامت تحقق لنا مصالحنا الحقيقية، وتقف  
أمام ما يبدو لنا من لذات وهمية .

وجميل أن نقف عند الخطوط الحمراء لا نتعدّها بقوّة الطباع غير المهذبة التي تقتحم علينا حمى أخلاقنا فتفسد علينا تمسكنا بديننا الحنيف، الذي جاء بالسماحة ومكارم الأخلاق، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (١).

وتتجلى هذه المكارم في الحوار، وتتسامى حينما تكون مع من تؤاكله وتشاربه وتحيا معه في ليلك ونهارك.

فالحوار ميدان فسيح لكل فكرة تأتي في نسق الأدب والاحترام والذوق، وكل ما يخرج عن ذلك فدونه خط أحمر ينذر بخطر لا حاجة إلى زوجين أن يغامرا بالقرب منه؛ لأنه لا يحقق لهما في واقع الأمر مصلحة أو يدفع عنهما مفسدة.

#### وهذه جملة من هذه الخطوط الحمراء:

١- رفع الصوت ما دامت المسافة قريبة من زوجك، فالله تعالى يقول: {وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} (لقمان: ١٩)، ولو لاحظنا بتأمل يسير كم يرفع الزوجان صوتيهما في أثناء الحوار ويستهلكان من طاقته فوق ما يحتاجان إليه لتعجبنا من ذلك كل العجب؛ فالمسافة التي بينهما لا تعدو في الغالب مترين فقط، وواقعهما يحكي كأنهما يتحدثان مع طرف يبعد عنهما مئات الأمتار، ناهيك عن تعود الجيران على استماع ما يدور بينهما من نقاش، وما يصلان إليه من نتائج مشرفة أو غير ذلك.

ربما يكون جملة منهم قد تعود على ذلك، أو أنه شيء من طبعه في أثناء الحديث، أو طبيعة صوته - كما يزعم - تفرض عليه هذا النوع من الصراخ، غير

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، (١٠/١٩٢)، وقال ابن عبد البر: «هذا الحديث يتصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم»، فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر، (١٠/٢٥٦).

أن جملة منهم - أيضاً - ينتقل من مرحلة الحوار إلى مرحلة الإلزام بالقناعات، ويرى - مخطئاً - أن الإقناع لا يكون إلا برفع الصوت، ليهز به قناعة الطرف الآخر. والحقيقة أن الأمر مختلف تماماً، وأدعو القارئ إلى التجربة، فإنها أثبتت أن صوتك كلما كان هادئاً وواضحاً تبين منه الأحرف وتتضح منه العبارات كان أكثر تأثيراً في القناعة بفكرتك لدى الطرف الآخر، أو على الأقل أدعى إلى الإنصات والتقبل.

كما أن هدوء الصوت يعطي انطباعاً لدى شريك حياتك بأنك تحاوره من دون أي خلفيّة تُخلُّ بحبك له؛ فتصفو النظرات بينكما من معاني الكراهية أو الشحنة، أو التسلط والكبرياء.

وتيقظ أن يجرك ارتفاع صوت زوجك إلى أن تجاربه في ذلك، فترفع صوتك معه، فليس لك حجة في ذلك ولو تعللت بأنه: هو يريد ذلك، أو لا ينفع معه إلا هذا، بل كن أنت أكثر منه قدرة على الأخذ بالحوار نحو السكينة والوقار، ولا يكون ذلك إلا ببقائك على نبرة متوازنة وغير حادة، فإنك ستري كيف يعود صاحبك إلى هدوئك بعفوية وانسيابية.

٢ - التعدي في الألفاظ بما لا يحسن التلفظ به، ومن ذلك: الشتائم أو السباب، أو التقليل من الشأن أو التحقير أو الاستهزاء، أو المنّ بالفضل والإحسان. فغن عَلَقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ( لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلَا اللَّعَانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَدِيءِ )<sup>(١)</sup>، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الإسلام أفضل؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ( من سلم المسلمون من لسانه ويده )<sup>(٢)</sup>.

بل إن من أعظم سمات المؤمنين أنهم يتخبرون أطايب الكلام وأحاسنه

(١) رواه الترمذي وحسنه، (١٩٠٠).

(٢) رواه البخاري (٠١)، ومسلم (٨٥).



ليقولوه للناس؛ فإن الكلام الطيب ينبئ عن مخبر طيب، والكلام الحسن مرآة لمعدن الإنسان وكريم منشئه، ويبقى الكلام البذيء مدعاة للتنافر والنزاع، وفرجة يتربع فيها الشيطان، ويفرّخ فيها عداوته بين الناس، ولذا أوصى الله تعالى بالقول الأحسن، فقال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا} (الإسراء: ٥٣).

وما أروع الكلمة الطيبة! تطرب لها الأذن، وتنفذ إلى القلب، وتألفها النفس، وينقشها العقل على جدار الذاكرة، فيبقى لها من العبق ما تتغير به الطباع، وتأنس به الأرواح، وتطيب به الخواطر، وتعود به المياه إلى مجاريها. فتأمل ما ستصنعه كلمات النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث في نفسك أنت، فكيف بمن وجهت إليه.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ( بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنْ حَفْصَةَ قَالَتْ: بِنْتُ يَهُودِيٍّ؛ فَبَكَتْ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكَ لَنَبِيٍّ، وَإِنَّكَ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفَخَّرُ عَلَيْكَ؟! ثُمَّ قَالَ: اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةَ (٣).

أما السخرية في الحوار، سواء توجهت إلى ذات الطرف الآخر أو إلى شيء من وصفه، أو إلى ما يمت إليه بصلة من أهل أو عشيرة، أو بما ينسب إليه من علم أو مال، فهذا كله محرّم؛ لأن فيه إيغارا للصدور، وزرعا للعداوات، ولذا حرّمها الحكيم سبحانه في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا

أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بِعَسِ الْإِسْمِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (الحجرات: ١١).

ويتأكد ذلك حينما تكون بين الزوجين فوارق بارزة في الدرجة العلمية أو المالية، أو من حيث النسب أو الجاه أو نحو ذلك، مما يدعو بعض الأزواج أن يستجيب لإغواء الشيطان فيترفع على زوجه بشيء من هذه الأمور، أو يئن عليها إذ أحسن إليها، والإساءة بهذا الترفع من أسوأ عوامل هدم الحوار الهادف بين الزوجين؛ لصعوبة تفاديها، أو تمريرها بسهولة، ولهذا جاء التحذير النبوي من هذا في حديث أبي هريرة، حيث قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ) (١). والكلمة الطائشة في أثناء الحوار تُشَتُّ بالذهن عن مساره، وتشق له خنادق موبوءة من الغيظ والحقد، أرى أن الزوجين يجب أن يترفعا عنها، وأن يسموا بحوارهما بالكلمة النزيهة، والوصف الكريم، وألا يتوقفا عند زلات اللسان إذا وقعت، بل عليهما بالتغافل، ففي التغافل عن ذلك سعادة وانطلاقة نحو السلامة والتلاحم.

٣ - الطعن في النوايا والمقاصد، كأن يقول أحدهما: « أنا أعلم قصدك في كذا»، أو: « نيتك في ذلك معلومة»، أو: « أنت لا تنوي إلا كذا وكذا... » ويحملها كلها على السوء..، فإن هذا تسوّر على ما في الصدور، ولا يعلم ما فيها إلا من لا تخفى عليه خفاياها سبحانه وتعالى، فالأمر لن يتعدى الشكوك والأوهام، وهذه لا تعطيك الحقائق، ولا تسندك إلى وقائع، ولا تكفيك في الحجج، ولا تورثك إلا الكراهية والضغائن، والأصل في زوجك محبته لك، وحرصه عليك، وتعلقه بك، ولو شككت في بعهده عن هواك،

فلن تزيدك هذه الشكوك منه إلا بُعْداً، وكلما أفصحت له بأنك تحبه وتحمل نواياه على أحسن المحامل، كلما قريته منك أكثر ولو كان في واقع الأمر بعيداً، والله تعالى يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ } (الحجرات: ١٢).

بل إن إحسان الظن من حرمة المؤمن التي يجب أن نصونها، ولا يجوز أن نتعدها، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: ( مَا أَطْيَبِكَ وَأَطْيَبَ رِيحِكَ، مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتِكَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لِحُرْمَةِ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكَ: مَالِهِ، وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا )<sup>(٢)</sup>.

ويقول عمر بن الخطاب: « لا تُظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجْتَ مِنْ أَخِيكَ إِلَّا خَيْرًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا »<sup>(٣)</sup>.

وإنما يقع سوء الظن في النوايا حينما لا نغير الاستفسار فيما نتحاور فيه اهتماماً؛ «فالاتصال الفعال بين الزوجين يتحقق عندما يُفسَّر المستمع رسالة المتحدث بالطريقة التي قصدها المتحدث»<sup>(٤)</sup>.

والاستفسار مرتبة تأتي بعد: الإنصات مباشرة، فإذا ما أشكل عليك من حديث زوجك شيء فلا تبادره بالتقويم لما يقول، أو تحمله من الظنون ما لم يحمله في قلبه عليك، بل استفسر منه أولاً، واستوضح من فكرته ولفظه، ثم زنها بميزان الحب والثقة في صدقه ونبله، فإنك ستجد أن الأمر مختلف عما ظهر لك في بادئ الأمر.

إن هذا الاستفسار والتأني سيكفيان - بإذن الله - كثيراً من الأزواج جملة من

(٢) رواه ابن ماجه، (٣٩٢٢).

(٣) رواه ابن عدي بسنده في الكامل (٢٠٦٢)، ١٥٢/٧.

(٤) مثلث التوافق الزوجي، د. وداد العيسى، ص: ٧٧.

الاعتذارات التي يقدمونها إلى بعضهم بعد أن يتبين لهم خلاف سوء ظنهم؛ فقد لا يوفق المحاور في لفظه أو أسلوبه، ولكن لا ينبغي أن يكون ذلك مدعاة إلى القدرح في نيته أو قصده .

يقول الدكتور: حاتم آدم: «إذا رأيت سلوكاً من الطرف الآخر مثيراً للريبة والشك، أو يحدث أثراً غير سارٍ في نفسك، فاطلب مباشرة منه التفسير، وشرح له ما في نفسك بدلاً من أن تدخل متاهة .

وإذا كنت قد كونت انطباعاتاً ما عن شخصية الطرف الآخر، وأثبتت الوقائع والأحداث عكسه، فاعترف بخطئك، وغيّر فكرتك، ونكون حينها قد استفدنا من مفهوم: التغذية الراجعة»<sup>(١)</sup>.

٤ - الكذب والافتراء، فإنه خط أحمر؛ فإن به تفقد الثقة بين الزوجين، وينهار بناء الصدق في حياتهما، وتتسلل الريبة إلى نفسيهما، ولذا تكثر بينهما الأيمان المغلظة، أو طلب البيّنات والشواهد القاطعة، ولربما وقعا في التخون والتحسس، وهذه مؤشرات خطيرة على عدم الطمأنينة من الطرف الآخر، وإذا كان مذموماً في كل حوار، فما بالك في الحوار بين الزوجين، اللذين يفترض أن ينهض حوارهما على الشفافية والوضوح، وعدم التلون والخداع .

فالأصل في الحوار بين الزوجين هو الصدق والابتعاد عن الكذب؛ ويدخل هذا في عموم حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ( إِنْ الصُّدْقُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا )<sup>(٢)</sup>.

(١) العلاقات الأسرية فنون وأسرار، ص: ٢٢٢.

(٢) رواه البخاري، (٥٦٢٩).

وأشد منه إذا كان الحوار بينهما في إثبات حق أو دفع ظلم، فالكذب هنا فجور يستحل به أحد الطرفين ما لا يحل له، وإنما يميل أحد الزوجين إلى الكذب في الحوار حينما يشعر أحياناً بضعف حجته، وأنه سيقف موقف الحرج إذا تحدث بالحقيقة .  
وعده النبي صلى الله عليه وسلم من صفات المنافقين ؛ خاصة في حال الخصومة، فقد روى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ( أَرَبُّعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَتْ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا أَوْثَمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ )<sup>(٣)</sup>.

قال ابن حجر - رحمه الله - : « الفجور: الميل عن الحق والاحتيال في رده، وهذا قد يندرج في الخصلة الأولى وهي الكذب في الحديث »<sup>(٤)</sup>.

ولا أرى أن يتعلّق الزوجان دوماً بحديث أمّ كلثوم بنتِ عُمَيَّة رضي الله عنها أنها قالت : ( مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِنْ الْكُذْبِ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَا أَعُدُّهُ كَاذِبًا الرَّجُلُ يُصَلِّحُ بَيْنَ النَّاسِ يَقُولُ الْقَوْلَ وَلَا يُرِيدُ بِهِ إِلَّا الْإِصْلَاحَ ، وَالرَّجُلُ يَقُولُ فِي الْحَرْبِ ، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ ، وَالْمَرْأَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا )<sup>(٥)</sup>.

فهذا إنما فيما يستدیمان به حسن العشرة بينهما من الثناء والمدح وجميل الوصف بما ليس فيهما، كأن يقول لها: أنت أجمل امرأة، أو أنت أحب الناس إلى نفسي، فقد جاء في عون المعبود : ( أَيُّ : فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْمَعَاشِرَةِ وَحُصُولِ الْأَلْفَةِ بَيْنَهُمَا ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ : كَذَبَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ أَنْ يَعِدَهَا وَيَمْنِيهَا وَيُظْهِرُ لَهَا مِنَ الْحَبَّةِ

(٣) رواه البخاري، ( ٢٣ ) .

(٤) فتح الباري ١/ ١١٢ .

(٥) رواه أبو داود ( ٤٢٧٥ ) ، وصححه الألباني في الصحيحة ( ٥٤٥ ) .

أَكْثَرَ مِمَّا فِي نَفْسِهِ؛ يَسْتَدِيمُ بِذَلِكَ صُحْبَتَهَا وَيُصْلِحُ بِهِ خُلُقَهَا<sup>(١)</sup>.

وهذا مما يستحسن في الحوار؛ لأنه يؤلف بين النفوس، ويشرح الخواطر، ويقرب الأفكار ولو كانت متضاربة.

ويصل الكذب - نعوذ بالله منه - إلى حد الزور والمنكر الفظيع إذا وقع الزوج في الظهار؛ وهو أن يحرم الزوج على نفسه زوجته بقوله: أنت علي كظهر أمي<sup>(٢)</sup>. إن هذا اللفظ وما يأتي على معناه يخالف مقتضى عقد النكاح الذي أباح الله به هذه المرأة، ليمسكها الزوج بالمعروف، وهذا ليس من المعروف في شيء، وأي معروف في أن يحرم الرجل زوجته على نفسه ليجعلها كأمه؟

لقد اشتكت خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم من زوجها الذي ظاهرها بهذه الكلمة، واستمع الله إلى شكواها، وأنزل فيها قرآناً استنكاراً لهذه المقولة الشنيعة، وجعل فيها كفارة مغلظة؛ وحداً من حدوده؛ تأديباً لكل زوج لا يبالي بتحريم ما أحل الله تعالى له زوراً وبهتاناً، وموعظة لمن يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقال سبحانه: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يُسْمِعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ، وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (المجادلة ١-٤).

(٦) عون المعبود ١٣/١٧٩.

(١) معجم لغة الفقهاء، ص: ٢٩٧.

لا يعذر الزوج أبداً في حوارهِ مع زوجته أن يتعدى هذه الحدود الربانية، ولو فعلت الزوجة ما فعلت من إثارة غضبه، أو قصرت في حقه، فالظهار - مع كونه قولاً فحسب - إثمهُ عظيم، ولا يمكن أن يكون الإثم يوماً وسيلة تأديبٍ تفي بالغرض، أو تحقق الهدف.

٥ - المقاطعة وعدم إعطاء الطرف الآخر نصيبه من الحديث، فهذا يشعره بأنه في دور المتلقي فحسب، ولا يرى حينها للحوار أي جدوى بالنسبة إليه، وهذا له سلبيات ربما لا تأتي على المستأثر بالحديث على بالٍ، ولعل من أبرزها: إحساس المقاطع بعدم الاهتمام به ولا بأفكاره، وعدم تشجيعه على إبداء رأيه، مما يجعله يميل إلى الإحجام عن الحوار والإضراب عنه.

وهنا تزيد نسبة ظاهرة الصمت السلبي المؤدي إلى الكبت النفسي، والذي تنتج منه أمراض نفسية خطيرة يصعب على المتسبب من الزوجين تفسيرها إلا بزيارة الطبيب، وهي مرحلة من المؤكد أنهما لا يودان الوصول إليها.

« وحتى يفوز الزوجان باستماع جيد لا بد من التحرر من الحوار الداخلي السيئ الذي يقوله كل طرف عن الآخر: فإذا كانت الزوجة تردد لنفسها دائماً: زوجي لا يشعر بي، ولا يحترم أحاسيسي، أو لا يحبني، فإنها أقل استعداداً للاستماع المحايد له، وكذلك الزوج إذا كان يقول لنفسه دائماً: زوجتي نكدية، أو لا تقدرني حق قدرتي، فإن فرصة الاستماع الجيد لها تتضاءل تضاضاً كبيراً»<sup>(٢)</sup>.

فلا بد من التهيئة النفسية للاستماع، ثم الانطلاق الفعلي فيه، بالإنصات الفعّال للطرف الآخر؛ فإن عدم إتاحة الفرصة لإبداء وجهة النظر بمقاطعة الحديث هو قطع لحبال الوصل، وهدم لجسور الود، وفسح لتدخل الوسواس الشيطانية في الحكم على المستأثر بالحديث بأنه نرجسي ومستبد وأناني ومتسلط!

وتشدد المقاطعة على المتحدث حينما تكون بالخروج عن الموضوع إلى موضوع آخر، أو بتشقيق نقطة الحوار الأساس، مما يبدد أفكار المحاور، ويشتت ذهنه، ويشعره بضعف قدرته على التواصل مع الطرف الآخر.

ولا يفهم من ذلك أن المقاطعة تكون باللسان فقط، بل قد تكون أيضاً بالفعل، كأن يتشاغل بالحديث مع طرف ثالث، سواء أكان شخصاً أم غير ذلك؛ كأن يرد على مكالمة هاتفية من غير حاجة ولا طلب إذن، أو إرسال نظره إلى التلفاز أو نحوه، أو حتى ذهنياً كالانشغال بالرد وتجهيزه عن فهم مرام المتحدث أو إبداء التجاوب معه، وهذا يستفز المحاور وييدي له صاحبه بأنه ليس إلا متظاهراً بالالتفات إليه أو متجاهلاً شخصه، وهما أمران أحلاهما مرٌ.

يقول ابن عباس: « لجليسي عندي ثلاث: إذا أقبلت رحت به، وإذا قعدت أوسعت له، وإذا تحدثت أنصت لحديثه »<sup>(١)</sup>.

مَنْ لِي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتُهُ  
وَجِهَلْتُ كَانَ الْحِلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ  
وتراه يُصْغِي لِلْحَدِيثِ بِسَمْعِهِ  
وَبِقَلْبِهِ وَلَعَلَّهُ أَدْرَى بِهِ<sup>(٢)</sup>

ويقول عطاء بن رباح رحمه الله: « إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأنصت له كأني لم أسمع، وقد سمعته قبل أن يُولد »<sup>(٣)</sup>.

إننا نريد أن يصل الزوج بإنصاته إلى زوجه وعدم مقاطعته له أن يصغي له ليس بسمعه فحسب، بل بكل جوارحه، ويتجه نحوه بقلبه وقلبه، حتى يشعره بأنه اخترق حاجز المشاعر لديه، وبدأ في قراءة أمله وألمه، فيعيش فرحه وحزنه، وتظهر عليه علامات التلاحم الحقيقي بروحه حتى كأنهما الجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

(١) رواه البلاذري بسنده في أنساب الأشراف، (٣/٩٤-١٠٥)، وراجع: عيون الأخبار لابن قتيبة، (١/٦٠٣).

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف ١/٤١٠، وموسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، (٥/١٢٦١).

(٣) سير أعلام النبلاء، (٥/٦٨).



ولنعلم أننا لا نقدم شيئاً رائعاً لأزواجنا حينما لا نقطعهم، بل إننا بذلك نقدم شيئاً أروع لأنفسنا، حيث نكون أكثر أدباً وأشد جاذبية، وأرفع خلقاً، وأكثر فهماً لما نسمعه وما نتحدث به .

تنقل مجلة «ريدردايجيست» من أشهر المجلات الأمريكية: إن أكثر الناس يستدعون الطبيب لا ليفحصهم وإنما ليستمع إليهم!<sup>(٤)</sup>.

٦- تضخيم الخطأ الجلي، وإبداء الفرحة بالوقوع فيه، وإظهار الإحساس بالانتصار، وأشد من ذلك إتباعه باللوم والعتاب الشديدين اهتبالاً لفرصة الزلل وإمعاناً في تأكيده، فهذا لا يستقيم أبداً في الحوار بين الزوجين؛ لأنه خروج عن ميدان التراحم والمودة، واستغلال لحالة الضعف، وهذا لا يصنعه الكرماء، ولا يليق بأهل الفضل، بل يجمل هنا التعامل بالرفق، والنصح باللين، والبدار بالعفو والصفح، والوقوف مع الخطأ بكل توسط من غير تميع له ولا تضخيم، فالله تعالى يقول: {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (البقرة: ٢٣٧).

ولنتأمل كيف وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله الجدلي رضي الله عنه، إذ قال: (سألت عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يُعْفُو وَيُصْفَحُ)<sup>(٥)</sup>.

والواقع العملي يشهد بهذه الروح الحوارية الطيبة، التي مع وضوح الخطأ وجلاته لم تزد إلا حلمًا وأناة، وإعطاءً للموقف نصيبه من العقل والرزانة والإنصاف من

(٤) مهارات التواصل بين الزوجين، د. عادل هندي، ص: ٣٢.

(٥) رواه الترمذي (١٩٣٩)، وقال: حسن صحيح.

دون توسيع للجدل ولا إذاعة للزلل، ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ( كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ<sup>(١)</sup>، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضْرَبَتْ الَّتِي فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ فَأَنْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقَ الصَّحْفَةَ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمَّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أَتَى بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كَسَرَتْ صَحْفَتَهَا وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ )<sup>(٢)</sup>.

إنه لا يمكن أن يتصور الزوج فضل زوجته عليه إذا أغضى عن الخطأ وترفق في معالجته إلا إذا وضع نفسه مكان المخطئ، فمن يرضى أن يستغل خطؤه أو لا يغفر له زلله؟!

خُذْ مِنْ خَلِيلِكَ مَا صَفَا      وذِرِ الَّذِي فِيهِ الْكَدِرُ  
فَالعَمْرُ أَقْصَرُ مِنْ مَعَا      تَبَةُ الْخَلِيلِ عَلَى الْغَيْرِ<sup>(٣)</sup>

٧- كفران العشير، وتجاهل المشاعر: أما كفران العشير، فأكثر ما تقع فيه الزوجات في حق أزواجهن، وهو خط أحمر في الحوار؛ لأنه يصيب الزوج بالإحباط نحو زوجته حينما لا تذكر له خيراً ولا تشكر له معروفاً، ولربما تعذر به عن استمرارية الحوار؛ متعللاً بعدم جدواه مع من تكفر ما سلف، فأبي أمل فيما خلف؟

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ( أُرِيْتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ؛ قِيلَ: أَيْ كَفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ

(١) جاء في رواية النسائي أنها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، (٢٨٩٤).

(٢) رواه البخاري، (٤٢٨٤).

(٣) العلاقات الزوجية فنون وأسرار، د.حاتم آدم: ٢٠٩١.

وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ؛ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ (٤).

إن على الزوجة أن تصون لسانها من كفران نعمة الزوج عليها، وأن تضع أمامها حتى في أحلك الظروف وأقسى المواقف ما لزوجها من إيجابيات وأفضال، وتُعزز من علاقتها به بذكرها أمامه، وشكره عليها، فإن كلمات الشكر لا تكلف الزوجة شيئاً، ولكنها تعني لزوجها الكثير من العرفان والتعبير عن حسن الوفاء والتقدير. أما تجاهل المشاعر، فعلى العكس من سابقه، فإن أكثر من يقع فيه هم الأزواج تجاه زوجاتهم، والمشاعر لدى المرأة خط أحمر لا تقبل تجاوزه؛ لما فطرت عليه المرأة من رهافة الحس، وقوة العاطفة، والحاجة إلى تفهّم ما يختلج في صدرها من شجنٍ تتردد لضعفها في البوح به، فإذا رأت تجاهلاً لهذه الأحاسيس صدت نفسها عن الحوار، وتكلفت كبتها، وأقسى من ذلك أن يصرح الزوج في حوارهِ معها بعدم الاكتراث بمشاعرها، فإنها ستري أن التواصل الحواري غداً في غاية الصعوبة والتعقيد. فمشاعر المرأة كنز، الزوج النبيه هو الذي يستثمر هذا الكنز في زيادة رصيد الحب بينه وبين زوجته، فيخبرها بكل صدق بأن مشاعرها محل اهتمامه الأول، وأنه لا يقبل أن تكون مثقلة بهمّ لا يسعى حثيثاً إلى التخفيف منه، أو مصابة بغم فيتأخر عن البذل في كشفه، يحف ذلك كله بالكلمة الجميلة، والدعاء المخلص، والسعي الجاد.

أصغ إلى هذا الحوار الزوجي ذي الإيقاع العاطفي الحنون، الذي تشترك فيها أنعام العرفان بالإحساس بالمشاعر، فهاهي ذي عائشة رضي الله عنها يلم برأسها ألم فتصيح بالنبي صلى الله عليه وسلم قائلة: ( وَارَأَسَاهُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَلِكَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ؛ فَاسْتَغْفِرَ لَكَ وَأَدْعَوْ لَكَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ:

وَأُثْكِلِيَاهُ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأُظْنِكُ تُحِبُّ مَوْتِي، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَظَلَلْتُ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرَّسًا  
بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَنَا وَرَأْسَاهُ!... (١).

إنه التناغم العذب بين الزوجين.. حتى لتغدو حواراتهما مستراحاً لهما من نصب  
الحياة وتعبها، ورشفة باردة نقية بعد عطش المشاعر وجفافها، فيرتوي كل منهما  
من معين الآخر حتى يصل الرِّي إلى القلب، فتنبت فيه نبتة الحب بهية زاهية.

٨- عَقْدُ المقارنات بين الطرف الآخر وغيره، أو بين حال الأسرة وغيرها، سواء أكان  
ذلك في أسلوب التعامل أم في القدرة المالية أم في المهارات بشتى أشكالها  
وألوانها؛ فإن من المعلوم قطعاً عدم استواء الأحوال واتفاق الصفات، وما  
يعلمه الزوجان من حال غيرهما حتماً أنهما يجهلان غيره، وطرح الشخصية  
للمقارنة بغيرها جرح بليغ ليس من السهل أن يندمل، بل هو معول هدم لبناء  
الثقة بينهما، فضلاً أنه ينشئ عداوة مع الشخص المذكور في المقارنة من غير  
ذنب اقترفه!

والمقارنة المنبوذة في الحوار الزوجي أحياناً تكون صريحة، كقولها له مثلاً: فلان  
كثيراً ما يسافر مع زوجته.. وفلان أكرم منك على زوجته.. أو كقولها لها: كنت  
أتمنى أن تكوني كفلانة مع زوجها.. أو تعلّمي من فلانة كيف تسعد زوجها..  
ونحو ذلك.

وأحياناً تكون بالتعريض المفهوم، كقولها له: ما أسعد فلانة بزوجها فهو  
يكرمها ويدلها! أو كقولها لها: أكلنا اليوم أطباقاً شهية عند فلان صنعتها له  
زوجته الماهرة.. ويكون ذلك غالباً بأسلوب ساخر وماكر.. لا يحتاج الطرف الآخر  
فيه إلى التدليل على أنه للمقارنة.. وإن كنت أقول: بأنه يجب إحسان الظن  
وعدم الوقوف عند ذلك.

٩ - تبادل التهم، فإن التهمة ربما تكون صحيحة، ولكنها تظل تهمة حتى تثبت، وإن منشأ هذا هو حرص بعض الأزواج على إلصاق الخطأ بالطرف الآخر في أثناء الحوار في مشكلة ما، ومحاولة إقناعه بوقوعه منه، وفي مقابل ذلك تجد الآخر يدافع عن نفسه ويلقي باللائمة على صاحبه، وهكذا لو استمرت هذه الحال لبقيت التهم سجلاً بينهما.

فما الثمرة إذاً؟ وبأي شيء سيخرجان به؟

أليس الأولى أن يحرصا على تحديد الخطأ والتفكير في علاجه، من دون الانشغال فيمن وقع منه أو لومه وعتابه وتوبيخه؟! فالوقوع في الخطأ من فطرة الإنسان، وإنما الفطنة تكمن في التبصر في كيفية الخروج منه لا التأكيد على حصوله.

نعم.. قد يقال: بأن الإغضاء عن تحديد المخطئ يجعله يتمادى في خطئه ويتساهل فيه، فنقول: بأن للمحاور أن يقتنص أي فرصة للتحذير من أسباب هذا الخطأ في غير وقت الحوار، وله أن يستفيد من وسائل كثيرة في هذا الشأن مباشرة أو غير مباشرة، تكفيه مشقة المواجهة حالاً، وتغنيه عن نتائجها مآلاً.

ويعظم الخطب في تبادل التهم حينما تتعلق بالقدح في العِرض؛ فإن قضية العِرض غاية في الخطورة، وقد أوصد بابها الشارع الحكيم، ووضع لمن يتجاسر عليها أحكاماً وحدوداً تُضمن بها سلامة العِرض ما لم يتبين ذلك، وجاء ذلك مبيناً في كتاب الله تعالى في آيات اللعان<sup>(٢)</sup>، فقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ، وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ، وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ

(٢) اللعان: « هو شهادة مؤكدة باليمين المقرونة باللعن، قائمة مقام حد القذف في حق الزوج ومقام حد الزنا في حق الزوجة»، معجم

عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ} (النور: ٦-١٠).

هذا إذا كان الأمر مستوراً بين الزوجين، ولا يزال في دائرة التهم، فكيف إذا كان كذبه محققاً، وتناقضه الألسن، ولاكته الأفواه، وتلقته الأذان، وفرح به المغرضون والحاسدون!

وهذا ما حصل في قصة الإفك التي ابتلي فيها النبي صلى الله عليه وسلم ابتلاءً شديداً، وامتحنت فيها أمنا الطاهرة المطهرة عائشة رضي الله عنها امتحاناً بليغاً، فإن لنا فيها الدرس الوافي، والعظة المؤثرة، والحقيقة الكاشفة.

ومع هذا كله فإننا لم نجد النبي صلى الله عليه وسلم يشير بأصبع الاتهام إليها من غير حجة ولا دليل، بل كان يزورها ويسلم عليها ويسأل عنها، إلى أن قال: ( أَمَا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيعةً فَسَيِّبِرْتُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمْتَ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ) (١)، وما هو إلا ما بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم حواراً معها، فقد برأها الله تعالى وأنزل في براءتها قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة (٢).

غير أن الله تعالى جعل لنا منهجاً نوقف به مدّ الاتهام من غير حق، خاصة بين الزوجين، اللذين جعل الله بينهما ميثاقاً غليظاً؛ يتمثل في العقد الشرعي الذي تجب به الواجبات، وتثبت به الحقوق، فلا يجوز أن يستهان به بإطلاق الألفاظ على غير عواهنها، فقال تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ، وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ، يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ

(١) رواه البخاري، (٢٤٦٧).

(٢) وهي عشر آيات من سورة النور، الآيات: ١١-٢٠.

أَبْدَأُ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} .

بل لم يسمح النبي صلى الله عليه وسلم بحكمته ونور بصيرته لذلك الزوج الأعرابي أن يتبادر إلى ذهنه أن يتهم زوجته بالحرام حينما وقع في قلبه شيء من الشك في نسبة أحد أولاده إليه لتغير لونه عن بقية أولاده، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: ( أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدًا! فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلْوَأْنُهَا؟ قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: أُرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ، قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ (٣) .

إن الثقة بين الزوجين في حوارهما يجعلهما: أكثر أماناً، وأمتع حديثاً، وأصدق عاطفة، وأنبيل خلقاً، وأكرم وصلاً .

وعلى العكس من ذلك، فإن التهمة بينهما: نزع دخیل، وشر وبیل، وفتنة عمیاء، وحرب شعواء .

فليُنظر الزوجان إلى هذه الخطوط الحمراء نظرة يصون كل منهما بها متعة الحوار بينهما، لتأتي متدفقة رفرقة صافية نقية عذبة، لا يكدرانها بدلاء الشقاء والازدراء .

## اللافتة الخامسة

### تقنيات الحوار.. كيف نستفيد منها؟

نشهد اليوم قفزة تقنية مذهلة ومتسارعة، لم تعد تتعلق بالمصانع أو المتاجر، ولا بأصحاب الجاه ولا بأرباب المال، كلا.. بل إننا - في وقت أقصر مما يتوقعه المبتكرون أنفسهم - وجدنا أنفسنا جميعاً في خضم هذه التقنية نعتلي أمواجها العاتية، وتأخذنا الحيرة في التعامل معها، وكيف نأخذ منها خيرها ونكف عنا شرها.

وما يهمننا من هذه التقنية هو هذا النشاط الحواري الأخاذ، الذي يسبب العقول والألباب، فلا تكاد تنظر إلى أحدهم في مكان خاص أو عام إلا وتراه يحمق في ( هاتفه الذكي ) أو ( حاسوبه المحمول ) يكتب تارة.. ويبتسم تارة.. ويعجب تارة أخرى.. !!

الزوجان.. وما أدراك ما الزوجان.. لم يبقيا زوجين اثنين فقط.. بل أصبح كل واحد منهما معه صديق إلكتروني ( جهاز ).. يضمه بين يديه، ويلقيه على صدره قبل نومه، ويلقي عليه نظره بعد صحوه، ويتحدث إليه، ويصحبه في حضره وسفره، ويستمتع بمشاهدته في ليله ونهاره، حتى إذا فقدته كأنه قد فقد زوجاً حبيباً، أو أحاً عزيزاً، أو خلاً وفيّاً !!

والسؤال: كم نسبة الحوارات التي يجريها الزوجان أو أحدهما مع الآخرين من خلال هذه التقنية؟ مقابلة بنسبة الحوارات التي يجريانها بينهما؟  
أظن أن الواقع يحكي أنه لا مقارنة بين النسبتين؛ فالخطوط الساخنة في الغالب مع الآخرين أكثر بأضعاف مع ما يكون بين الزوجين!  
إنني أقصد بلا ريب الحوارات النزيهة، ولا أقصد غيرها بالطبع.



فإن أسباباً عدة تكمن وراء عدم تفعيل الحوار التقني بين الزوجين، لعل من أبرزها:

- عدم معرفتهما أو أحدهما استخدام هذه التقنية .
- عدم الرغبة في ذلك مع وجود المعرفة، لتفضيل المقابلة المباشرة على غيرها .
- الشعور بالمتعة في الحوار مع الآخرين لجهلهما بالواقع الذاتي للشخصية .
- الخوف من استخدام هذه التقنية - بعد فتحها وإتقانها - بوجهٍ سلبي .
- ضعف الجانب الحوارى لدى الطرفين أو أحدهما .
- فقدان الأسلوب العاطفى أو ضعفه لدى الطرفين أو أحدهما .
- وجود ترسبات سلبية في استعمال هذا النوع من الحوار قبل الزواج أو بعده .

وربما تكون هناك أسباب أخرى غير ذلك بحسب اختلاف البيئات وأنماط التفكير .

والذي أراه أنه لم يعد لنا خيار في الاستفادة من هذه الإلكترونيات في تنمية الحوار بين الزوجين؛ لأن التأخر عن ذلك هو الذي سيدعو الماهر منهما فيه إلى أن يتطلع - أحياناً - إلى الانشغال بها أكثر مع غير زوجته .

لقد غدت مشكلاتُ التواصل التقني ( المنحرف ) تغزو الحياة الزوجية؛ حتى أصبحت تشكل نسبةً ليست قليلة من الاستشارات التي تفتد إلى مراكز التنمية الأسرية؛ لما لهذا التواصل من تأثير سحري على من يفقده من زوجه .

حيث لا يُقدِّم المنحرفون أو المنحرفات ( الثعالب البشرية ) على هذا التواصل إقداماً عفويًا، بل بالتخطيط الدقيق لهذه الجريمة النكراء .  
ويكون ذلك: ببداية مأكرة، وتوقعٍ لنهايةٍ خبيثة .

ثم البحث عن الحاجات العاطفية لدى الفريسة؛ لتكون مساراً للاستيلاء على قلبها.

ثم الانطلاق في حوارٍ مزيفٍ مملوءٍ بالأكاذيب والمراوغات .  
ثم يتخذ الماكرُ أسلوباً مغريباً وفاتناً، يملك الثعلبُ فيه القدرةَ على استلال كلِّ آهات الفريسة وأحزانها .

ثم يبادلها الشعور بالأمها، وييدي التحسّر عليها!  
ثم يُغرقها بكلمات الحب والغرام الكاذبة، ثم يعدها - افتراءً وخداعاً - بحياة أجمل معه مستقبلاً !

حتى إذا وجدتْ سلوتها مع هذا المجرم تعلّقت به تعلقاً شديداً حتى لا تفتأ تذكره في قلبها، ولا يهنأ لها حال إلا بالتواصل معه، والتحدث إليه؛ لأنه ملكٌ عليها زمامَ فكرها، واستطاع أن يوظّف مهارته الحواريّة في كسبها إليه، وإذا أضفنا إلى هذه المهارة الحواريّة - وإن كانت سلبية - الغرام باستخدام التقنيات الحديثة في المحادثات، التي ما عادت تنقل الصوت فقط، بل تنقل الحوارات مكتوبةً بأنامل أصحابها، ومزودة بالصور الثابتة والمتحركة، فهنا يكون البلاءُ أشدَّ، ونتائجُه أكثرَ أسىً وحرزناً لا قدر الله، حيث تبدأ مأساة الملاحقة بهذه الصور وتلك المحادثات ابتزازاً للعرض أو مساومة على مال أو استغلالٍ لنشر الرذائل بكل أنواعها: كالمخدّرات، أو السرقة، أو المشاركة في المهنة الخبيثة نفسها لإسقاط شخصياتٍ أخرى، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فليتقِ الزوجانِ ربّهما سبحانه أن تنال حياتهما الزوجية أيدي الدخلاء والمتربصين بسعادتهما ليفسدوها، فإنّها إن لم تحفظ من كل المؤثرات المنغصة والسلبية، فسوف لن تحقّق أهدافها الربانية التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز فقال سبحانه: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (الروم: ٢١) .  
 وإذا استخدمت تقنيات الاتصال الحديثة استخداماً سلبياً تجر إلى مثل هذه  
 المتاهات المظلمة، فلماذا لا نستثمرها إيجاباً؟

فإنني أجد هذه التقنيات فرصة ثمينة للزوجين لمد جسور الحوار بينهما بطريقة  
 ممتعة وطريفة، يتناقل فيه الزوجان أخبارهما وأفكارهما بطريقة جذابة ومشوقة،  
 ويتراسلان عبرها المواد الطريفة والمفيدة السمعية منها أو المرئية، وما أجمل أن  
 تتحول هذه التقنية إلى محطة اتصالٍ غراميٍ بينهما؛ تُنعش فيه خلجات الحب  
 والهيام، وتبعث فيها روح التواصل والانسجام، لما تتميز به هذه الوسيلة من  
 عنصر التشويق والانتظار والمفاجأة وبعض المرفقات الباعثة على الابتسامه أو التأمل  
 أو غير ذلك، كلُّ هذا ضمن ضوابط الشرع الحنيف الذي يصون سمع الإنسان  
 وبصره وفؤاده من الوقوع في الزلل، {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ  
 مَسْئُولًا} (الإسراء: ٣٦) .

وتزداد أهمية المتعة الحوارية وفائدتها عبر التقنيات الحديثة حينما تبعد المسافة  
 بين الزوجين في حال سفر أو نحوه، حيث تتقارب المسافة، وتحصل الطمأنينة،  
 ويسهل التفاوض، وتنمو المشاعر، ولا تنقطع فرصة التخفيف من شجن الحياة  
 وأوصابها.

ولا تقل أهمية الاستعداد للحوار الإلكتروني عن الحوار بالمقابلة، بل على  
 الزوجين أن يتحينا أحسن الأحوال لإجراء هذا الحوار، وذلك باختيار أنسب زمان  
 وأهدأ مكان، وأجمل أسلوب، وأحسن قول، وأروع بدء، وأكرم ختام .

ولا ينبغي أن يشغف الزوجان بالحوار الإلكتروني حتى يؤثر سلباً في الحوار  
 المباشر؛ لأنه مهما بلغ من متعة إلا أنه يتاح للمحاور في المباشر من المهارات  
 المتعددة ما لا يتاح لغيره، من حيث التفنن في المهارات اللفظية وغير اللفظية .

وإذا كان هذا دور هذه التقنية في الحوار البنائي بين الزوجين، فإن لها دوراً فعّالاً في حل المشكلات بينهما أيضاً.

وما ذلك إلا لأن هذه المراسلات تتيح فرصة للتفكير فيما يخطه الزوجان بعضهما لبعض، فتراهما ينتقيان الكلمات، ويتخيران الأسلوب، وما آفة الحوار المباشر إلا العفوية السلبية التي تفقد التروي وحسن التفكير فيما يقال ويفعل في أثناء الحوار.

فكم رسالة هاتف جوال لطيفة مفعمة بالصدق وبالغ الاحترام وجميل الاعتذار أنهت بتوفيق الله تعالى خلافاً طويلاً، وأرجعت المياه إلى مجاريها. فما أروع أن يتعلم الزوجان لطف الحوار الإلكتروني ومهاراته ليكون لهما قناة متطورة في تجديد التواصل بينهما؛ ليزداد بينهما الأنس، وتقوى بينهما روابط المحبة والألفة.

## اللافتة السادسة

### الحوار والحياة.. النجاح والفشل

يقترن النجاح والفشل في حياة الزوجين بنجاحهما في الحوار أو في فشلهما فيه، وهذه القاعدة إن لم تطرد في جميع الأحوال فلا أقل أن تكون في غالبها، مع إيماني الكامل بأنها مُطَرَّدة ولا شك، والحالات التي خرجت عن هذه القاعدة، بحيث رأينا من حقق نجاحات مع ادعائه الفشل في حوارهِ مع زوجته أو بالعكس، لا تعدو أن تكون حالات نادرة، والنادر لا حكمَ له، أو أن الحوار بينهما قد وصل إلى نسبة يحقق بها نسبة من النجاح أو الفشل.

وإنما قلت ذلك لأن كلاً من الزوج والزوجة يُعَدَّان الشخصية الأولى بالنسبة إلى بعضهما التي يلتقيها كلٌّ منهما عندما تحصل المواقف بكل أشكالها وألوانها، والشخصية الأولى في حياة الإنسان عادةً تتحدد له مساره: نفسياً، وفكرياً، واجتماعياً، وتؤثر عليه في اتخاذ القرار، وتمنحه فرصة رائعة لتوضيح فكرته، وتأكيد معناها، واستجلاب محاورها وأدلتها، حتى لو كان الموضوع لا يتعلق بهذه الشخصية ولا يعنيها.

كما أن الشخصية الأولى «المستقبل من الزوجين» هي محل امتصاص المشاعر الأولى التي غالباً ما تبدو عليها آثار الانفعال، سواء أكانت محزنة أم مفرحة، لتعيد إليها توازنها من جديد.

وهنا يكمن خطر موقف الزوجين تجاه أحدهما ليكون الحوار بينهما محور النجاح والفشل على وجه الحقيقة.

فأياً زوج أتى إلى زوجته مثقناً بجراح المواقف الصعبة، أو عادت إليه مثقلة بالمشكلات أياً كان سببها، فوجد المتحدث منهما في الآخر تلك الشخصية الحوارية التي تقبل عليه بشغف، وتهديء من روعه، أو تبتهج لبهجته، ربما وهي

لا تعلم ما وقع له، ولا ماذا يحمل في جعبته، تقرأ في محياه بعض خبره، وتتوقع بعضه الآخر، وتتفائل له بكل خير، ثم تحتويه وتنصت إليه بكل جوارحها، وتشعره بأن ما يحمله في قلبه قد وصل بكل أمان إلى قلبها، وإنها ستتجرد من كل أهوائها وحظوظها الشخصية، لتقدم له المشورة الصادقة، والرأي السديد، فهي - إذن - الشخصية التي تترك بصمة النجاح على زوجها، بل تكون مصدراً حقيقياً له.

وهل هناك نجاح أكبر من النجاح الذي حققه النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى شريعة الإسلام، فإنني لا أستريب أن نقطة بدء البشرية في مسيرة هذا النجاح هو ذلك الحوار الزوجي الرائع الذي دوّنه التاريخ بمداد من نور، فقد حدثت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه حينما عاد النبي صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده بعد أن نزل عليه الوحي في المرة الأولى: ( فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي، فزَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِحَدِيجَةَ - وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ - لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ... وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْمُخِرْجِي هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْت رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَئِذٍ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا) (١).

وبقيت خديجة رضي الله عنها إلى أن توفيت في مقام المساندة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ما أوتيت من حكمة ومال وجاه وقدر، ولما توفيت حزن النبي صلى الله عليه وسلم عليها حزناً شديداً؛ لرفيع مقامها في نفسه، حتى لما قالت: «أُمنّا عائشة رضي الله عنها: ( لَقَدْ أَعْقَبَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ امْرَأَةٍ - قَالَ عَفَانُ : مِنْ عَجُوزَةٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ - مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشُّدَقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ، قَالَتْ : فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ تَمَعُّراً مَا كُنْتُ أَرَاهُ إِلَّا عِنْدَ نَزُولِ الْوَحْيِ، أَوْ عِنْدَ الْمَخِيلَةِ<sup>(٢)</sup> حَتَّى يَنْظُرَ أَرْحَمَهُ أُمُّ عَدَابٍ )<sup>(٣)</sup> .

تقول إحدى الدراسات التي قدمها أحد المستشرقين: « إن أعظم توافق زوجي في الكون هو زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضي الله عنها »<sup>(٤)</sup> .

وهذا اختيار الله وتوفيقه، غير أن اللافت للنظر تلك الفروق الحقيقية بينهما، فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم فقيراً، وكانت خديجة رضي الله عنها غنية، وكان صلى الله عليه وسلم راعياً للغنم، وكانت رضي الله عنها تاجرة، وكان عمره خمساً وعشرين سنة، وكان عمرها أربعين سنة، وكان بكرًا، وكانت ثيبًا، وإن كانا قد اتفقا على أنهما من أشرف مكة، غير أن مهارتهما في التواصل بكل معانيه وفنونه كانت همزة الوصل التي تخلقا بها، واجتمعا عليها، فأثمرت حبًا ووفاءً ونجاحًا وفلاحًا .

وإن كنت أعدُّ الحوار الزوجي حجرَ الزاوية في اللحظات الأولى في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد بلغت ذروته في الانسجام والتعاطف في اللحظات الأخيرة من حياة نبينا وحبیبنا محمد صلى الله عليه وسلم، فيها هي ذي عائشة -

(٢) المخيلة: السحاب.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٥١٧١)، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) مثلت التوافق الزوجي، د. وداد العيسى: ٥٦.

رضي الله عنها - تتبادل مع حبيبها الشكوى بعد الله تعالى، والمرء لا يشكو لأحد إلا بعد أن تلتحم روحه بروحه، فقد ألم برأسها ألم فصاحت بالنبي صلى الله عليه وسلم قائلة: ( وَارَأْسَاهُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَلِكَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيًّا فَاسْتَغْفِرُ لَكَ وَأَدْعُو لَكَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَأَثْكَلِيَاهُ... فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ... )<sup>(١)</sup>.

ولما مرض النبي صلى الله عليه وسلم ما أحب أن يكون إلا في بيت عائشة رضي الله عنها، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَتَعَذَّرَ فِي مَرَضِهِ: أَيُّنَا أَنَا الْيَوْمَ؟ أَيُّنَا غَدًا؟ اسْتَبْطَأَ لِيَوْمِ عَائِشَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَدَفِنَ فِي بَيْتِي )<sup>(٢)</sup>.

وحيثما حانت ساعة الوداع لم تملك عائشة رضي الله عنها إلا أن ترد للنبي شيئاً من حنانها عليها؛ فإنه حينما مرض مرضاً مَرَضَ مَوْتَهُ وَثَقَلَ أَخَذَتْ بِيَدِهِ لِتَصْنَعَ بِهِ مِثْلَمَا كَانَ يَصْنَعُ بِهَا فِي مَرَضِهَا، لَكِنَّ لِقَاءَ اللَّهِ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى حَكَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَنَظَرَ الْوَفَاءِ هَذَا فَقَالَتْ: ( إِنْ مِنْ نَعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ تُوَفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي<sup>(٣)</sup>، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السَّوَاكُ وَأَنَا مُسْنَدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَاكَ، فَقُلْتُ: أَخْذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتَهُ فَاسْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أَلَيْسَ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيْتَنِي هُوَ فَامْرَأَةٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكُوعَةٌ أَوْ عُلبَةٌ - يَشْكُ عُمَرُ - فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنْ لَلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ

(١) رواه البخاري، (٥٦٦٦).

(٢) رواه البخاري، (٣٠٠).

(٣) السَّحْرُ: أسفل الصدر، والنَّحْرُ: أعلاه.



يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى قَبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ (٤).

قديمًا قالوا: وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة، وأقول كذلك: وراء كل امرأة عظيمة رجل عظيم، وهذه المرأة وذلك الرجل وإن كانا أبوين أو زوجين لا يهم، فكلهم ينتمون في نهاية الأمر إلى حضن الزوجية الدافئ.

ويبقى السؤال هنا: أين تكمن العظمة؟

تكمن العظمة في تسخير كل ما يملكه الإنسان وما يستطيع للوقوف مع الحبيب، ينصره في الحق، ويمنعه من الباطل، ويتلذذ كل منهما بامتزاج روحه بروح حبيبه، ويجسد ذلك كله عبر بوابة الحوار الزوجي الماتع، حيث لا تجد للتسلط ولا لمصادرة الرأي ولا لسوء الأدب مكانًا في هذا الحوار.

ما زلت أتذكر حينما فوجئت بأحد زملاءي قد جاءني بوجه غير الذي أعهد منه، فلما سألته قال لي: إنه مكتئب لأمر أصابه في صحته، وهو لا يزال في مقتبل الشباب، فهدأت من روعه، وصبرته، ثم سألته:

- هل أنت ممن يتحدث إلى زوجته بما يجول في خاطره؟
- فأجابني: لا.
- فقلت له: ما شأن المواقف التي تواجهك في عملك يوميًا.. هل تحدّث بما يثقل عليك منها إلى زوجك؟
- فأجابني: لا.. إنني لا أحب أن أثقل على زوجتي بشيء من ذلك!
- فقلت له: إذن.. أين تذهب بهمومك وأفراحك.. إلى من تنقلها، وإلى من تُسرّبها؟
- سكت ولم يتحدث!
- فقلت: أثقلت على نفسك وعلى زوجك!
- فإيا له من حرمان للنفس من لذة الحوار مع الحبيب، ليخفف من نصب

الحياة وضنكها، أو ليشاركك في فرحتها وامتعتها!  
لقد أشرت على صاحبي أن يبدأ مشوار الحوار الجميل مع زوجته، ليعلمها  
كيف تستقبل خواطره، وكيف تقلب الحديث معه، وكيف تتجاذبه بلطف،  
وكيف تعيده إليه بحب وسكينة ومشورة ملؤها الثقة والأمان .  
أشعر أنني لفت نظره إلى علاج كان غافلاً عنه، فقد نظر إليّ نظرة غريبة  
ثم قال : هل ترى ذلك مجدداً فعلاً!

فقلت له : كرر ذلك على الأقل مرتين في يومك ظهراً وقبيل نومك، ولا تكن  
ملقياً فحسب، بل واستقبل أيضاً، فإن لها من الحاجة ما تحتاج إليه .. صدقني ..  
نحن بحاجة إلى من يشاطرنا حياتنا .. وبينك وبينك التجربة .. سلمك الله  
وشفاك ..

ومرّت الأيام .. فإذا بي أرى صاحبي مهتلاً مسروراً، لقد عاد إليّ بوجه آخر،  
بعد أن تذوّق طعم الحوار الممتع مع زوجته .

« إن الرجل ليخفي همومه عن إخوته، وعن زوجته لا يستطيع، ويتجلد الرجل  
أمام الناس كلهم من الأهل والأقارب والأبعد، ولكنه في بيته ربما سالت دمعته،  
وهاجت أحزانه، فهو يتصرف بحضرتها كما لو كان وحده، وهي أيضاً تجد في  
زوجها الحبيب العاشق، والصديق الصادق، والأب الحنون، والأخ الرؤوم، تبته  
الحزن والوجد، وتحكيه الفرح والسعد، ولا تخفي عنه أمنية أو تكتم عنه أملاً،  
فعن أي أرض نتحدث وقد ذابت المسافات وتلاقت الأبدان، واختلطت الأرواح،  
وأمحت الفواصل، إن الزوجين ليسا بحاجة إلى أرضية مشتركة للحوار؛ فهما  
شيء واحد، كيان واحد، ونفس واحدة، وروح واحدة»<sup>(١)</sup> .

إن من لم يقتنع بذلك فليتأمل في هذا الموقف النبوي العظيم، عن البراء بن

عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ( خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ فَأَحْرَمْنَا بِالْحَجِّ، فَلَمَّا أَنْ قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ: اجْعَلُوا حَجَّكُمْ عُمْرَةً، فَقَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَحْرَمْنَا بِالْحَجِّ فَكَيْفَ نَجْعَلُهَا عُمْرَةً؟ قَالَ: انظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا، فَرَدُّوا عَلَيْهِ الْقَوْلَ، فَغَضِبَ، فَانْطَلَقَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ غَضْبَانَ، فَرَأَتْ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَتْ مَنْ أَغْضَبَكَ أَغْضَبَهُ اللهُ تَعَالَى؟ قَالَ: وَمَا لِي لَا أَغْضَبُ وَأَنَا أَمْرٌ بِالْأَمْرِ فَلَا يُتَّبَعُ (٢).

ولك أن تتساءل: ما حاجة النبي صلى الله عليه وسلم إلى نقل هذا الهمم الذي أصابه إلى زوجته فحسب؟

لماذا لم ينتظر الوحي هنا؟

لماذا لم يُلقِ بما في نفسه على كبار الصحابة رضي الله عنهم؟

لماذا لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم هذا في نفسه، وأدار الحوار في خاطره؟ مع أن الأمر لم يكن في قضية أسرية، أو مشاعر وجدانية، إنما هي في أمر شرعي محض، متصل بطاعة الإمام والاستجابة لأوامره.

فما الرابط إذن.. وما الداعي إلى ذلك؟

إننا يمكن أن نفسره بأن الإنسان في حديثه مع أي طرف خارج إطار الزوجية ربما أخذه الحذر في كلامه، وحسب لألفاظه ومشاعره أكثر مما لو تحدّث إلى زوجته، خاصة في حالة الانفعال أو الغضب، فمع الغريب يقل الأمن، ويزيد الحذر، ويثقل التراجع عن الفكرة، وتكبت المشاعر، ويبقى شريك العمر تميّزه أريحية الأخذ والرد من غير حرج، وهنا تأتي قدرته على دعمه نحو النجاح والانطلاق فيه، وتوجيهه نحو ما ينفعه ولو كان في ذلك تكدير له بما يتردد أو يستحي غيره في تكديره به، كما حصل ذلك بين النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها.

فأين يجد المرء مثل هذا التلقف المفعم بصدق المشاعر ونبل النفس: ( مَنْ أَعْضَبَكَ أَعْضَبَهُ اللَّهُ ).. إنها لم تعلم بعدُ ماذا جرى له؟ لكنها علمت مسؤوليتها بكونها زوجةً لرجلٍ طموحٍ يحمل في قلبه هدفاً كبيراً، فلا بد أن تشاركه فيه .  
بل إنها تبادره بالسؤال عما يؤلمه، أو بقي مترسباً في خاطره، لتخفف عنه ما يعتمل في صدره من ذكريات حزينة، فتشاطره همومه وتطلعاته .

فها هي ذي أمنا عائشة رضي الله عنها تسامره بسؤالها: ( هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ؛ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بَقَرِنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ فَنَادَانِي: فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ: فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ: فِيمَا شِئْتَ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا )<sup>(١)</sup>.

وكلما كانت ظروف الحياة أقسى كانت الحاجة إلى الحوار بين الزوجين أشد .  
يقول الأستاذ فهد خليل: « ولقد وعى التاريخ أسماء عديد من الرجال العظماء في الإسلام كانوا يستمعون إلى مشورة زوجاتهم، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان يصدر أحياناً عن رأي خديجة وأم سلمة وعائشة وغيرهن من أزواجه - رضي الله عنهن - وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يصدر عن رأي أمه أسماء - رضي الله عنها -، ويصدر الوليد بن عبد الملك عن رأي زوجته أم البنين

بنت عبد العزيز بن مروان، والرشيذ يصدر عن رأي زوجه زبيدة، وغيرهم في تاريخ الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

إنها مسؤولة الزوجين تجاه كل منهما في إزاحة العقبات أمام النجاح، وإفساح الطريق نحو الهدف، ليستشعر كل منهما وحدة الغاية التي يتطلعان إليها، وهي السعادة في الدنيا والفرحة في الآخرة، فعلى الزوجين أن يتحملا هذه المسؤولية بجد، وأن يصدقا في ذلك في شبابهما، ليستمتعا بها في شيخوختهما.

«فالزوجان اللذان يهتمان ببعضهما اهتماماً إنسانياً تنشأ بينهما صداقة عميقة، وتكبر سعادتهما مع تقدمهما في العمر، ولا تعود الشيخوخة تخيفهما؛ لأن لهما من التفاهم ورصيد الذكريات والفهم المتبادل ما يجعل وجودهما مع بعض متعة في كل مرحلة من مراحل العمر»<sup>(٣)</sup>.

ولا يفهم من ذلك أنه يجب ليحققا النجاح في حياتهما أن تتحد أفكارهما، أو تتماثل مواهبهما، أو يتقارب تخصصهما، بل النجاح في هذا مرهون - بعد توفيق الله تعالى - بنجاحهما في حوارهما، حينما يعرف كل منهما كيف يستمع إلى الآخر، وكيف يجيبه، فلقد رأيت من الأزواج الناجحين والناجحات من يكون أحدهما ذا مستوى عالٍ في الثقافة أو في الدرجة العلمية، والآخر لا يحمل مؤهلاً، بل لا يعرف أن يقرأ ولا يكتب، وهما في قمة الانسجام والحب والتفاهم، ولو تقدم بهم العمر.

ويعجب بعض الناس من هذا الانسجام مع وجود هذا الاختلاف!

إنني أكاد أجزم أن كلا الزوجين الناجحين في الحوار أو أحدهما تراه يميل بروحه إلى روح زوجه في الحوار ليستمع إليه في موضوع ربما لا يستهويه، وليس من اهتمامه، ولكنه ليشاركه الحياة والنجاح فيها تراه يحاوره في أفراحها وأتراحها،

(٢) فن التعامل مع الأزواج لفهد خليل زايد، ص: ٤٧.

(٣) الإهمال عدو الحياة الزوجية، أ.عبد الله الجميشن، ص: ٧٠.

ولو كان ذلك بالمغالبة على النفس المفطورة على الملل والسآمة فيما لا تميل إليه . وينطلق الحوار بالزوجين نحو النجاح حينما يُعزز بالتحفيز والتشجيع، والثناء، والسؤال، والمتابعة، والدعاء، والمشاركة الفاعلة، فإنها مقومات مهمة في مسيرة النجاح.

وعلى العكس، فإن ممارسة عملية التثبيط والإشعار بالإحباط، وعدم إحسان الاستقبال للمنجز وما يعتره من نجاح أو فشل، أو إبداء عدم الاكتراث بما لا يراه مهماً له من المواقف، أو حبس المشورة الحكيمة، أو التسويف المستمر لعملية الاستماع، أو العجلة بإعطاء الأفكار والحلول قبل أن ينهي المتحدث حديثه، كلها أسباب فشل للعلاقة الحوارية بين الزوجين، ومن ثمّ تنعكس على فشلها في حياتهما أو في منجزاتهما لا قدر الله .

- إنه يطمح في إكمال الدراسات العليا .. وهي لم تستطع إكمال الجامعة ..
- إنه يهوى التجارة .. وهي لا تحب المغامرة المالية ..
- إنه يعشق القراءة .. وهي لا ترغب فيها البتة ..
- إنها تحب مشاهدة البرامج الوثائقية .. وهو لا يميل إليها ..
- إنها موهوبة في كتابة المقالة الصحفية .. وهو يجهلها تماماً ..
- إنها تحب المشاركة في الأعمال التطوعية .. وهو لم يتعود عليها ..

إن على هذين الزوجين أن يشتركا في حوارهما، ليشتركا في نجاحهما، ولو اختلفت الدروب، أو تمايزت الأفكار، أو لم تتحد الأساليب .. إنها حياتكما .. فلا تفوتا فيها النجاح ..

## اللافتة السابعة

### لغات أخرى في الحوار

إنني لا أريد من خلال حديثي في هذا الكتاب أن تتحول حياة الزوجين إلى نقاش دائم، أو حوار مستمر، فليس كل الأزواج ممن يحب الكلام الكثير، أو الأخذ والرد، ولذا فإن الحوار الزوجي بحاجة إلى مساندة من لغات أخرى تردف الحوار الكلامي وتقطع مسافته التي قد تطول حينما يكون الزوجان يمتلكان نفساً طويلاً في النقاش، فرب لغةٍ أخرى توصل الرسالة على وجه أسرع وأفضل، تصاحب حديثهما، وتضفي عليه أجواء من الأمان والطمأنينة، وتشعرهما بالتصافي مهما طال الحوار بينهما، وتؤكد لهما أنهما في طريقهما الصحيح إلى التفاهم والتآلف.

### فما هذه اللغات ؟

لا أحرص على حصر أي مجال يمكن الإبداع فيه، حتى لا أكون سبباً في تحجيمه، فما سأذكره هنا هو مجرد اقتراحات، تساعدك بإذن الله على توليد الأفكار التي من خلالها تطل على واحةٍ مخضرة بالإبداعات الزوجية المناسبة لكما، فمن هذه اللغات ما يأتي:

### اللغة الأولى: الهدية:

فالهديّة سبيل إلى المحبة، والمحبة عنصر مهم لدوام النوايا الحسنة في الحوار بين الزوجين، فإذا ما تهادى الزوجان دفعوا عن نفسيهما ريب الكراهية والشحناء، والحبيب صلى الله عليه وسلم يقول: (تَهَادُوا تَحَابُّوا)<sup>(١)</sup>، فكم من الكلام سوف يستغني عنه المتحدث حينما يقدم الهدية لحبيبه، فإنها رمز للتصافي، وشاهد على نسيان الماضي، حتى في حال الأُنس فإنها تسهم في شد بناء المستقبل، وتعين بعد الله على تماسكه.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٦٠١).

ولا أوصي بالتكلف في الهدية، ولا كثرتها، حتى لا تفقد معناها، كما أن على المهدى إليه أن يقدر هذا الإهداء، ويعظمه في نفسه ولو كان مقدارها المادي سيراً، بل ليجعلها فرصة ثمينة للشكر والثناء والتقدير، فهذا مجال لتعزيز العلاقة الزوجية يجب ألا يفوت .

إنها لغة كريمة يستلذها الفضلاء، ويقدرها الكرماء:

إنك إن أكرمت الكريم ملكته وإنك إن أكرمت اللئيم تمردا

يقول جاري تشابمان: «إن الهدية هي شيء يمكنك أن تمسكه بيدك، وتقول: انظر إنه يفكر فيّ، أو تقول: إنها تتذكرني، فإنك عندما تعطي شخصاً ما هدية فلا بد أنك تفكر فيه، فالهدية في حد ذاتها رمز لذلك التفكير، ولا يهم أن تكون غالية الثمن، بل المهم أنك تفكر في هذا الشخص، وليس المهم التفكير الذهني، وإنما التفكير الذي يتم التعبير عنه عن طريق امتلاك الهدية، ثم إعطائها كتعبير عن الحب»<sup>(١)</sup>.

وأقول: إن من أروع ميزات الهدية أنها تبقى مشاهدة ملموسة، كلما جفت المشاعر أو خبا أوار الحب في النفس أشعلتها الهدية من جديد لتجول الذكرى الجميلة في النفس، فلا تعزم النفس بعدها إلا على حلو الكلام، وجميل التعبير، وتستقبل النفس أي حوار بعدها بإشراقه روح، وراحة بال .

### اللغة الثانية: القُبلة ونحوها:

إنها الرسول الذي حصره كثير من الأزواج على أسرة النوم، فأحاطت به الحظوظ الخاصة، والشهوة العابرة، وافتقدتها حوارتنا الزوجية، وافتقدت معها اللمسات الحانية، والاحتضان الدافئ، إنها لغات غاية في اللطف، تنتشر على طريق الحوار وروداً حمراء، وترسم على ضفافه لوحات حلوة تنقش جمالها في ذاكرة الزوجين .

(١) لغات الحب الخمس، جاري تشابمان، ص: ٦٦.



أشعر أنّ كلامي هذا سيعتريه الاستغراب إذا لم يكن استنكاراً أيضاً !!  
قُبلةً واحتضاناً في الحوار !!

كثير أولئك الذين شُغفوا بتعلم اللغات الأجنبية بطرق شتى، وربما تغربوا عن الديار من أجل ذلك، وما ذاك إلا ليسهلوا على أنفسهم وسائل التعلم والحوار فيما يحقق لهم أحلامهم وأمنياتهم العلمية أو العملية.

والحياة الزوجية هي الحلم الجميل الذي لا يستغني عنه أي زوج ذكراً كان أو أنثى، فلماذا لا نتعلم له أي لغة يمكن أن تجعل من الحوار فيها نهراً رقيقاً يتدفق بالحنان والحب والرحمة.

إن النفوس فطرت على الفرحة بالقُبلة، والشعور في الاحتضان بالأمان، والحوار في أي حال يحتاج الزوجان فيه إلى ذلك وخصوصاً في حق الزوجة، فإذا ما عبر الزوجان عن حبهما بالكلام فهذه درجة كريمة، وأكرم منها حينما تقترن الكلمة المعبرة باللمسة اللطيفة والعناق المفعم بدفء المشاعر وصدقها.

### اللغة الثالثة: التنازل والعفو:

من أجمل لغات الحوار بين الزوجين تلك المبادرة الرائعة التي يسبق إليها أحدهما أو يتسابقا إليها بأن يعلن صاحب الحق عن عفوهِ عن صاحبه، غير منتظر لآسفه بين يديه، و غير سامح له بالاعتذار، فالحياة بينهما أكبر من أن تنالها مثل هذه (الانكسارات) التي يجب ألا يقبل بها الزوجان الكريمان في حياتهما، بل ما أروع أن تحفل الذاكرة بالعفو فإن الله تعالى يقول: {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} (البقرة: ٢٣٧)، وأن لا ينسيا ما بينهما من فضل فإن الله تعالى يقول: {وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ} (البقرة: ٢٣٧)، وأن يكون صفحهما من الصفح الجميل فإن الله تعالى يقول: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} (الحجر: ٨٥).

ليكن لدى الزوجين نية صادقة في فتح صفحة جديدة ناصعة البياض عند كل حوار، حتى لا تتراكم الظنون، أو تتزاحم الأخطاء، بل يجب أن نبادر إلى تصفيتها بالتسامح، وإن تكررت فلا مانع من الحوار المقترن بالتناصح، وإن خفيت الأخطاء، فلا بأس بتوضيحها حتى لا يتكرر الوقوع فيها، من دون تضخيم ولا تشنيع.

العفو.. لغة لا يجيدها إلا أصحاب القلوب الكبيرة التي لا تهبط إلى دنو الزلات اليسيرة التي لا يسلم منها أحد، بل تعلو عن ذلك بالتغافل، وتجمله بالصبر، وتستره بالمغفرة، {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ}.

#### اللغة الرابعة: تحويل الكلام إلى أفعال:

كلنا يحب الكلام الجميل، وتبادل المشاعر الطيبة، غير أن منا من لا يجيد ذلك، أو هو بطبعه أو نمطه يحب أن يترجم المشاعر الكلامية أو الداخلية إلى أفعال، أو أنه ممن تنتابه الشكوك فيما يسمع، فهو يحب أن يرى ما يثبت تلك المشاعر إلى حقيقة أو ما يؤكد لها.

وسواء أكان أحد الزوجين من هذا النوع أم لم يكن، فمن كرم النفس وجود اليد أن تتحول كلماتنا وما تتمخض به حوارتنا من اتفاقات تامة أو جزئية إلى نتائج عملية، أو أفعال محسوسة.

#### فمثلاً:

في قضية اختلافٍ مع أهل الزوجة يقول الزوج بعد التصافي: غداً سأدعوهم إلى وليمة إكراماً لهم.

وفي قضية شكوى من عدم الخروج إلى التنزه يقول الزوج: الليلة نخرج إلى مكان كذا لنقض ليلة جميلة معاً.

وفي قضية شعور بجفاء تعامل الزوجة مع والددة الزوج تبادر الزوجة بتقديم هدية إلى أمه طلباً للتصافي والوثام.

وعند شكوى الزوج من تقصير زوجته في حسن استقباله تترجم الزوجة ذلك بأحسن استقبال يتوقعه منها زوجها بعد حوارهما.

ولا يزال الزوجان يمزجان القول بالفعل، ويراوحيان بينهما، حتى لا تفتقر العلاقة بينهما، وحتى يشعر كل منهما بروعة اللقاء في الحوار، ويريا نتيجة فعلهما في حياتهما.

### اللغة الخامسة: الصمت :

ليس كل الأسئلة يمكن أن نجيب عنها ..

وليس كل المواقف نتمكن من التعامل معها بالحوار الكلامي ..

أحياناً نجد أن الصمت أبلغ من الكلام، وأسلم من النطق، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ( مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ )<sup>(١)</sup>.

فإن مثيرات الحوار بين الزوجين كثيرة، منها ما يثير الحوار الإيجابي<sup>(٢)</sup>، ومنها ما يثير الحوار السلبي<sup>(٣)</sup>.

فإذا ما واجه أحد الزوجين مثيراً يستنطق منه ردّاً عنيفاً أو مواجهة شديدة في أي حال من الأحوال، فإن عليه التزام الصمت، والتحلي بالهدوء، وكظم الغيظ، حتى ينتهي الطرف الآخر من أزمته التي يمر بها، لأنه يجب أن يقدر ضعفه أمام

(١) رواه البخاري (٦٠١٨).

(٢) يمكن إيجاز مفهوم الحوار الإيجابي بأنه الحوار الذي تتبادل فيه الرسائل بشكل واضح ومباشر، ويكون الاستماع فيه فاعلاً، ويستخدم فيه المتحاوران مهارتهما اللفظية وغير اللفظية. الحوار الأسري التحديات والمعوقات، د. حصة الوائلي: ٧٠.

(٣) الحوار السلبي هو الذي يفقد تلك المقومات السالفة ذكرها في الحوار الإيجابي، بحيث يكون التعبير فيه غير واضح للمستقبل، ومشحون بالتوايا غير المستيقنة، وتظهر فيه الأساليب الفجة والتعجيزية والتنافس في إضحام الطرف الآخر وعدم الرغبة في التنازل أو التقارب. الحوار الأسري التحديات والمعوقات، د. حصة الوائلي: ٧١.

هذه الحال الطارئة، وأنها سرعان ما تزول، وخصوصاً حينما لا يستجيب لها بالرد أو التعنيف أو حتى الاستجابة الحقيقية لطلباته التي يلقيها جزافاً من غير تعقل ولا ترو.

يقول الله تعالى: {وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (آل عمران: ١٣٤)، ولنتأمل هذا الاقتران بين كظم الغيظ داخل النفس، وإتباعه بالعفو خارجها، ثم إلحاقه بالإحسان ليتعدى الحدود القريبة إلى مسافات أبعد. فإذا أغضب أحد الزوجين الآخر بكلمة أو نحوها، فرائع أن يكظم الآخر غضبه من هذه الزلة، ثم يعفو عنه؛ لأنه يجب أن يحمله على حسن الظن بأنه لا يقصدها في حقه، ثم يحسن إليه بنسيان زلته، وعدم تذكيره بها، وعدم محاسبته عليها، والعودة نحو الصفاء والتودد، والحياة لا تطيب إلا بمثل هذا التصافي الذي يجب أن يكون متبادلاً، ولا يكون في حق أحدهما دون الآخر.

والشاعر في قمة الواقعية حينما أوصى حبيبته فقال لها:

خذي العفو مني تستديمي مودتي      ولا تنطقي في سورتني حين أغضبُ  
فإني رأيتُ الحب في القلب والأذى      إذا اجتمعا لم يلبث الحبُّ يذهبُ

إن الصمت إذا ما اصطحب نظرات الحب والتقدير، فإنه يضع الطرف الآخر في لحظة أسف على ما جناه من رفع صوت أو زمجرة أو عصبية، وكأن الصامت يقول له بصمته:

- هون عليك .. فأنا لا أحتاج إلى هذا كله ..
  - إن المسافة التي بيني وبينك لا تستدعي علو صوتك ..
  - ارفق بي .. فأنا إنسان مثلك لي عقل يفهم الكلام من دون صراخ ..
  - إن بيني وبينك ميثاق الإمساك بالإحسان .. وهذا ليس من الإحسان ..
  - أصمتُ لأنني أحبك .. ولا أحب ما يغضبك ..
  - لتعد إلى الهدوء والحكمة .. لأعود إلى الحديث والحوار ..
- هذه جملة من لغات الحوار الذكية، التي يمتلكها المحاور، وربما ملك بها من يحاوره، فتفنن فيما تملكه، ويأتيك ما لا تملكه<sup>(١)</sup>.

(١) تقول د. وداد العيسى: « لا يمكنك أن تتحكم في مدى كفاءة الطريقة التي يسمع بها الشريك، ولكن يمكن التحكم في مدى كفاءة طريقة إرسال الرسالة، مثلث التوافق الزوجي: ٧١.

## اللافتة الثامنة

### قفشات حوارية.. وقفزات حياتية

استراحة قصيرة، أود من الزوجين الكريمين أن يلتقطا أنفاسهما فيها، ليقفا على بعض الحوارات الزوجية الماتعة، التي اعترتها جملة من الظروف: الابتسامة، المرض، الخلافات، الشكوك، الغيرة، السفر، عدم التوافق في العمر، أو في الجمال، أو غير ذلك، لكنها مرّت بسلام وأمان؛ بفضل الله تعالى؛ ثم لأن زمام الحوار كان بأيدي محبة، وأنفس متآلفة، ماهرة في قيادة الكلمة والاستماع إليها، والاستجابة لداعي الخير فيها، فإلى هذه الوقائع وإضاءاتها الحوارية:

١ - روى عروة رضي الله عنه أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا قَالَتْ: فَعَرْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ! أَغْرَتِ؟ فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ؟ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ) (١).

فها هو ذا النبي صلى الله عليه وسلم يستفسر عن سرّ تصرفها قبل أن يقطع به، والاستفسار من أهم خطوات الحوار الناجح الذي يشعر به المخاطب بمصادقية المتحدث إليه؛ إذ يشعر معه أنه باحث عن الحقيقة من صاحب الشأن، بعيداً عن تأكيد الشكوك من غير يقين، ولذا تجد الطرف الآخر يؤكدها حينما تكون حقيقة من غير تردد؛ لنزاهة السائل عن الاستنقاص أو الكيد.

وربّط النبي صلى الله عليه وسلم تصرف عائشة رضي الله عنها بأمر يعم جنس النساء فيه لطف غامر؛ وهكذا ينبغي أن يكون الحوار مجرداً عن الأوصاف التي

تجعل المتحدث إليه في دوامة من القلق إذا ما وصفه صاحبه بوصف يخصه دون غيره، أو بوصفٍ ليس من طبيعته أو مستغرب على مثله .

والمح معي هذه القدرة الفائقة من النبي صلى الله عليه وسلم وأمنّا عائشة رضي الله عنها في إنهاء الموقف بسرعة بتناول حديث آخر استخدم فيه النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب التشويق فقال: ( أَقَدَ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ؟ ) ليعطي الطرف المقابل فرصة رائعة للانتقال إلى حديثٍ أبعد عن نقطة التوتر أو الاختلاف .

٢ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: ( قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا<sup>(٢)</sup> سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعِبَ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟! قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرْسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسَطَهُنَّ؟ قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟ قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ! قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنْ لِسَلِيمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنَحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكُ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِدَهُ<sup>(٣)</sup> .

إن هذا الموقف النبوي اللطيف يؤكد ما قررته من أن الحوار ليس لحل الاختلافات أو فك النزاعات فحسب، بل هو أيضاً للملاعبة والإمتاع والمؤانسة .

وما أجمل هذا النفس النبوي الكريم في طرح الأسئلة وجعلها في قوالب مختلفة من: الاستفهام، والتعجب، وسهولة اللفظ وقصر العبارة، وتوزيع ذلك بقبول الأجوبة وإبداء السعادة والبهجة بها .

وكم هو رائع أن يبدي أحد الزوجين إلى الآخر حاجته لمعرفة ما يعرفه الآخر وإن كان ليس ذا بالٍ لديه، وأروع من ذلك أن يتقمص دور المهتم به، فإنها مرتبة عالية في الإنصات ومرحلة متفوقة في الحوار .

(٢) السهوة: « سترة تكون قدام فيناء البيت »، انظر: لسان العرب ( سها ) ٤١٥/٦ .

(٣) رواه أبو داود ( ٤٩٣٢ )، وصححه الألباني.

٣- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِيَابِهِ لَمْ يُؤْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأَذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرَ فَاَسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاءُوهُ وَاجِمًا سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لَا قَوْلَنَ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ سَأَلْتَنِي النَّفَقَةَ فُقُوتُ إِلَيْهَا فَوَجَّاتُ عَنْقَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلُنِنِي النَّفَقَةَ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عَنْقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عَنْقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلُنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ؟! فَقُلْنَا: وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلْنَهُنَّ شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ }، حَتَّى بَلَغَ: { لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أُجْرًا عَظِيمًا } (الأحزاب: ٢٨-٢٩)، قَالَ فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أَحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبِيكَ، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوِي؟! بَلْ أَخْتَارُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالذِّي قُلْتَ، قَالَ: لَا تَسْأَلِنِي امْرَأَةً مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتَهَا، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَنًا وَلَا مُتَعْتَنًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُبْسِرًا<sup>(١)</sup>.

إن قضية النفقة التي يدور عليها هذا الحوار الزوجي قضية كبرى؛ لأنها تتعلق باستمرار الحياة على نسقٍ يجب أن يتفق عليه الزوجان، وحينما يكون الحوار حول مثل هذه القضايا فلا مانع أن يعطى مساحة تتناسب وحجم القرار الذي يجب أن يتخذ، فلا ينبغي أن يتعجل الزوجان على حياتهما بأي قرار لا يحقق



لهما السعادة بإذن الله تعالى .

ولذا اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم عدة أساليب للوصول إلى القرار الحكيم، ومنها: التوازن النفسي الذي تعامل به عليه الصلاة والسلام مع المشكلة؛ لعلمه أن لكل مشكلة حلاً، والقلق والاضطراب لا يوصلان إلى المطلوب، وإعطاء الوقت الكافي للتفكير، ووضع أكثر من اختيار، وتبيين النتائج لكل اختيار، والبعد تماماً عن التعنيف أو التسلط أو الاستغلال، وإبعاد كل المحاولات التي من شأنها أن تزيد من هوة الخلاف أو لا توصل إلى النتائج المطلوبة.

وتظهر مهارة النبي صلى الله عليه وسلم في حل المشكلة هنا في رسم خطٍ للرجوع للطرف الآخر من دون التقليل من شأنه أو إشعاره بحاجته.

قال ابن حجر رحمه الله: « وَفِي الْحَدِيثِ مُلَاطَفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِزَوَاجِهِ، وَحِلْمُهُ عَنْهُمْ، وَصَبْرُهُ عَلَى مَا كَانَ يَصْدُرُ مِنْهُمْ مِنْ إِذْلالٍ وَغَيْرِهِ مِمَّا يَبْعَثُهُ عَلَيْهِنَّ الْغَيْرَةَ » (٢).

٤ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ( أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرْفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْتِمَا ظَنَّ أَنَّ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَأَنْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا<sup>(٣)</sup>، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي وَاخْتَمَرْتُ وَتَقَنَعْتُ إِزَارِي ( تقنعت: لبست )، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ، فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَاِنْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرَوَلْ فَهَرَوَلْتُ،

(٢) فتح الباري ٢٨٢/٨.

(٣) أجافه: أغلقه، وإنما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم في خفية؛ لئلا يوقظها ويخرج عنها، فربما لحقها وحشة في انفرادها في ظلمة الليل انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ٤/٤٨٠.

فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ (الإحضار: العدو وهو الجري)، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ اضْطَجَعْتُ، فَدَخَلَ فَقَالَ: مَا لَكَ يَا عَائِشُ حَشِيًّا رَابِيَةً (أي: يرتفع صدرك وينخفض من سرعة التنفس، وذلك من أثر الهرولة)، قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: لَتُخْبِرْنِي أَوْ لِيُخْبِرَنِي اللَّطِيفُ الْحَبِيرُ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتِ أَمَامِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعْتَنِي (أي وكزها بجمع يده)، ثُمَّ قَالَ: أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ؟ قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمُ النَّاسُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ جَبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، فَنَادَانِي فَأَخْفَاهُ مِنْكَ، فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكَ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ وَقَدْ وَضَعْتَ ثِيَابَكَ، وَظَنَنْتِ أَنْ قَدْ رَقَدْتَ، فَكْرَهْتُ أَنْ أُوقِظَكَ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِي أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَفْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لِلْأَحْقُونَ (١).

ويظهر للقارئ والقارئة الكريمين كيف برزت روح المكاشفة في هذا الحوار، والإصرار على ذلك، وقبول مبدئها بينهما؛ لما تتمتع حياتهما بالأمان النفسي، والشعور بأنه لا غضاضة أن يخبر كل من الزوجين بغيره لأي فعل ربما يشتمه على الطرف الآخر فيقع في قلبه موقع الكراهية، فإذا ما تصارحا بكل هدوء وسكينة كَشَفَ الحوارُ لهما عن قلبين حبيبين، وروحين متآلفتين.

٥ - وعن عطاء قال: دخلتُ أنا وعبيدُ بنُ عميرٍ على عائشةَ رضي الله عنها، فقالتُ

لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا، فقال: أقول يا أمه كما قال الأول: زر غباً تزدد حباً، قال: فقالت: دعونا من رطانتكم هذه، قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فسكتت: ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: (يا عائشة! ذريني أتعبد الليلة لربي، قلت: والله إني لأحبُّ قربك، وأحبُّ ما سرَّك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يُصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله! لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها، {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (آل عمران، ١٩٠) الآية كلها (٢).

إن من أسرع الطرائق في الوصول إلى قلب المخاطب هو المناداة بالاسم المحبب له، وخصوصاً في حق الزوجة؛ احتراماً لها، وتقديراً لكيانها، وتأليفاً لذاتها، ونبذاً لما يمارسه بعض الأزواج من العادات الجاهلية في استحغار الزوجة والترفع عن مناداتها باسمها، ولذا فليبشر الزوج الكريم الذي يهتف بزوجه بأحب الأسماء أو الألقاب أو الكنى بروح طيبة مبادرة تلبى ندائه بوله وشوق، واستجابة صادقة لدعوته لهاتفه ورغبته.

ولقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن ينهض لقيام الليل من دون أن يخبر

(٢) صحيح ابن حبان (٦٢٠)، وقال محققه الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

عائشة رضي الله عنها بشيء، غير أنه الأدب النبوي الرفيع، والخلق القرآني العظيم، فإن الوقت لما كان من حق الزوجة، كان من حسن العشرة إخبارها بذلك، فما كان منها إلا همست له بحبها للقرب منه إشعاراً منها لمكانته في نفسها، ولكنها تؤثر ما يسعده ويبهجه على كل شيء ولو كان شيئاً تحبه وترغبه، كل ذلك يتم في جو حوارٍ زوجي هامس.

٦ - وعن فاطمة الخزاعية قالت: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: ( دخل عليّ يوماً رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: أين كنت منذ اليوم؟ قال: يا حميراء، كنت عند أم سلمة، فقلت: ما تشيع من أم سلمة! قالت: فتبسم، فقلت: يا رسول الله، ألا تخبرني عنك لو أنك نزلت بعدوتين<sup>(١)</sup>، إحداهما لم ترع والأخرى قد رعيت، أيهما كنت ترعى؟ قال: التي لم ترع، قلت: فأنا ليس كأحد من نسائك؛ كل امرأة من نسائك قد كانت عند رجل غيري، قالت: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>).

فأين أهل الغضب والانفعال في حواراتهما الزوجية من هذا النموذج الحواري الرائع، كثير أولئك الذين يستفزون بأي كلمة أو بأي أسلوب ربما لم يكن مقصوداً لدى المتحدث أن يستفز به المخاطب، ولكن تأتي الظروف أو الطباع به من دون عناية فيكون شديداً، والشدة لا تقابل عند العقلاء والحكماء بمثلها حينما يكون المتحدث من الأحبة أو الأصدقاء، وهكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع محبوبته رضي الله عنها، فقد بدأت أمنا عائشة رضي الله عنها حوارها بسؤال يأنف منه كثير من الأزواج: ( أين كنت منذ اليوم؟ )، قالت ذلك بدافع الغيرة التي فطرت عليها الزوجة، فكيف مع كون زوجها معدداً!!، فلا ريب أن

(١) العُدوة: بضم العين وفتحها وكسرهما: شاطئ الوادي، لسان العرب (١٤) ٩٧/٩.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى في ذكر أزواج النبي: ٦٣/٨، وعند البخاري بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلَتْ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أَكَلَ مِنْهَا، وَوَجَدَتْ شَجَرًا لَمْ يُوَكَّلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تَرْتَعُ بِعَيْرِكَ؟ قَالَ: فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعُ مِنْهَا، تَعْنِي أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَنْزُوجْ بِكَرَا غَيْرَهَا ( رواه البخاري (٥٠٧٧) ).

الغيرة هنا تزداد، ومع ذلك فإن معرفة النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الفطرة جعله يتعامل في حوارهِ مع حبيبته بكل طمأنينة وتوازن، بل واستجابة للأسئلة التي وجهتها إليه بكل صدق وشفافية: ( كنتُ عند أم سلمة )، منادياً لها بأجمل الألقاب: ( يا حميراء )، وشافعاً ذلك بابتسامة تخفف من وطأة الموقف وتنبهه بكل رفقٍ ورويةٍ.

٧ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتَ عَنِّي رَاضِيَةً وَإِذَا كُنْتَ عَلَيَّ غَضَبِي، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتَ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتَ عَلَيَّ غَضَبِي قُلْتَ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ ) (٣).

إنه يتبين لي من هذه التجربة النبوية الكريمة أن امتلاك زمام المهارة الحوارية بين الزوجين لن يتم - بعد إذن الله تعالى - إلا بعد المخالطة والعشرة، ليكتشف كل منهما نمط الآخر وأسلوب حياته وحواره، ويتعرف إلى ملامح الرضا والغضب في تعامله، ليقف على ما يسعده فيقدم عليه، وما يكرهه فيتركه، مهتدياً في طريق ذلك إلى مفاتيح قلبه التي تؤثر على كسب فؤاده واستتلال ما في خاطره.

وجميل أن يبادر الزوجان ببيان كل منهما للآخر ما يسعده وما يغضبه؛ وقاية عن الوقوع في المشكلات بقدر المستطاع، وعدم الاكتفاء بذلك، بل يحرصان على أن يتقاربا ليحققا ما هو أعلى من الوقاية من المشكلات، وهو المودة والرحمة والانسجام.

٨ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: ( رَجَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ذات يوم من جنازة بالبقيع، وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول: واراأساه! قال: بل أنا يا عائشة واراأساه! ثم قال: وما ضرك لو مت قبلي فغسلتكَ وكفنتك وصليت عليك ثم دفنتك، قلت: لكأني بك أن لو فعلت ذلك قد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نساءك، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بُدئ في وجعه الذي مات فيه<sup>(١)</sup>.

إنها مهمة من مهمات الحوار، وهدف من أهدافه، حينما يخفف به الزوجان من ثقل المصائب والأوجاع، فيتنادى بعضهما إلى بعض، ويشكو بعضهما هم بعض بعد الشكوى إلى الله تعالى، فيلتقيان في الأتراح كما يلتقيان في الأفراح، ويصقل فيها الحبُّ بكبير العقبات، لتتبيّن النفوس الصافية من النفوس العكرة، فمّن للزوج غير زوجه بعد الله تعالى!

ولنتأمل كيف انطبع الأثر النفسي على الحبيب صلى الله عليه وسلم حينما بث شجته لحبيته رضي الله عنها، فارتسمت على شفتيه الكريمتين ابتسامة الأُنس والرضا، ولم يمنعه من إبدائها وجع مصابه أو مرض موته صلى الله عليه وسلم، فالحوار الزوجي الناجح طريق سالك لإراحة القلب وسعادة النفس.

٩ - وعن أم ذرة عن أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها قالت: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة من عندي، فأغلقتُ دونه الباب، فجاء يستفتح الباب فأبيتُ أن أفتح له، فقال: أفسمتُ إلا فتحته لي، فقلتُ له: تذهب إلى أزواجك في ليلتي هذه؟ قال: ما فعلتُ؛ ولكن وجدتُ حقناً من بولي<sup>(٢)</sup>.

إن اللمحة الحوارية التي ألمحها في هذا الحديث أن الحوار الزوجي يختلف عن الحوارات الأخرى التي تغلب المجاملات فيها بين المتحاورين لفقدتهما

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب التاريخ، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٦٥٨٦)، وإسناده قوي كما قال محققه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٢) رواه ابن سعد بسنده في الطبقات الكبرى، (١٠٩/٨).

الحميمية التي تكون بين الزوجين، ولذا من المفترض على الزوجين أن يعيا أن ما يحدث بينهما وبين غيرهما من حوار سيكون له طابع مختلف عن طابع الحوار بينهما، فليس من المتوقع أن يجد الزوج مثلاً - صاحب المنصب العالي في عمله - في الحوار مع زوجته ما يجده في اجتماعاته الرسمية من التوقير المتكلف، وليس من الحكمة أيضاً أن يفرض الأسلوب الرسمي على حواراته الزوجية لكونه صاحب تلك المكانة، فالنبي صلى الله عليه وسلم هنا لم يؤنّب أمنا ميمونة رضي الله عنها على إغلاقها الباب أو تحقيقها في أمر خروجه في ليلتها، ولم يستنكر ذلك عليها لكونه النبي المرسل عليه الصلاة والسلام، بل تعامل مع الحدث بحوار زوجي محض، يتسم بالوضوح والأناة والصبر، وإدراكٍ ووعي بنمط زوجته وطبيعة الأنوثة فيها، معطيًا للحدث حجمه الطبيعي من غير تضخيم، ولا إيغال في النوايا، ومنهياً بذلك صفحةً زوجيةً طريفةً، بحوار هادئٍ ممتع.

١٠- وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا قَالَتْ: ( لَبِينَا بِالْحَجِّ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِسَرِفِ حَضْتُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ يَا عَائِشَةُ؟! فَقُلْتُ: حَضْتُ؛ لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ حَاجَتُ! فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! إِنَّمَا ذَلِكَ شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، فَقَالَ: انْسُكِي الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا، غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا مَكَّةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ شَاءَ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً فَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ، قَالَتْ: وَذَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نِسَائِهِ الْبَقَرِ يَوْمَ النَّحْرِ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةَ الْبَطْحَاءِ، وَطَهَّرَتْ عَائِشَةُ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أترجع صواحيبي بحجٍّ وعُمْرَةٍ

وَأَرْجِعْ أَنَا بِالْحَجِّ؟! فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَذَهَبَ بِهَا إِلَى التَّنْعِيمِ فَلَبَّتْ بِالْعُمْرَةِ (١).

إن المبادرة بالحوار في الأحوال العادية أمر يدل على كفاءة عالية لدى المحاور؛ لأنه يدل على قدرته على استجلاب الطرف الآخر للحوار والأنس به، كما يدل على مخزونٍ من اللغات الحوارية المختلفة التي تجعله يثق بنفسه - بعد الله تعالى - أن يدير دفة الحوار بكل اقتدار، فما بالك إذا كان الوضع يستدعي هذه المبادرة حتى يجب أن تكون عفوية وإنسانية في آنٍ واحدٍ، فإن النفس السوية تأبى أن تتأخر عن هذه المبادرة أو تتردد فيها، فما هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتأخر لحظة حينما رأى أمنا عائشة رضي الله عنها باكيةً حزينةً، فبادرها بالسؤال: ( ما يبكيك !؟ )، فمهما كان السبب في البكاء فإن السؤال مُلحٌّ بطبيعة النفس البشرية، فكيف لو كان الباكي حبيباً أو قريباً!

فما أطف الحبيب، وما أرق قلبه على أحبائه عليه الصلاة والسلام. وما أقسى تلك القلوب التي لا تنطق شفاه أصحابها بنت شفة، ولا يضيق لها صدر وهي ترى من تجالسه ليل نهار في حالٍ يستنطق فيه حبه وجميل عشرته معه ولو بكلمة طيبة، وسؤالٍ واله!

والحوار النبوي الكريم هنا يأخذ طابع الاستشارة والتوجيه؛ لحاجة المستشير إلى مَنْ يعينه على الخروج من دائرة الحيرة أو ضيق المشكلة، وإن الطرف الآخر في الحياة الزوجية ينبغي أن يكون أول المتحاورين؛ لا لأنه الأقدر على حل المشكلة دائماً كما هي الحال في حق النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لأنه يجب أن يكون أكثر الناس إخلاصاً لزوجهم، فالمفترض ألا يسمع منه إلا ما يدلّه إلى برّ الأمان، وساحل السلامة، إما بحل المشكلة إن كان من أهل ذلك، وإما بإرشاده



إلى الاختصاص في هذا الشأن، والتأخرُ في ذلك قد يضطر صاحب الحاجة إلى فتح حوارٍ مع طرفٍ خارجي غير مأمون لا قدر الله.

١١ - ويستأنس بما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها حكّت قصة غيرتها من أم المؤمنين صفية بنت حبي رضي الله عنها، قالت: ( خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج معه نساءه، وكان متاعي فيه خِفٌ فكنْتُ على جمل ناج «أي: قوي» وكان متاعٌ صفيةً فيه ثقلٌ، وكانت على جملٍ بطيء فتباطأنا، فقال صلى الله عليه وسلم: حوّلوا متاعَ عائشة على جملٍ صفيةً، وحوّلوا متاعَ صفيةً على جملٍ عائشة؛ ليمضي الركب، فلما رأيتُ ذلك قلتُ: يا لِعبادِ الله، غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: يا أمَّ عبدِ الله، إنَّ متاعكِ كان فيه خِفٌ، ومتاعٌ صفيةً كان فيه ثقلٌ، فبطأ الركب، فحوّلنا متاعها على بعيرك، وحوّلنا متاعكِ على بعيرها، قالت عائشة: ألسْتَ تزعمُ أنك رسولُ الله؟ قالت: فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: أفي شكٍ أنتِ يا أمَّ عبدِ الله؟ قلتُ: ألسْتَ تزعمُ أنك رسولُ الله! فهلا عدلتِ؟ فسمعني أبو بكر رضي الله عنه، وكان فيه ضربٌ من حدّة «أي: شدّة»، فأقبل عليّ يلطمُ وجهي، فقال صلى الله عليه وسلم: مهلاً يا أبا بكر، قال: يا رسولَ الله، أما سمعتَ ما قالت؟! قال صلى الله عليه وسلم: إن الغيرى لا تُبصرُ أسفل الوادي من أعلاه (١).

بين الزوجين صلة يحرص الشيطان على بترها، فيستغل كل فرصة سانحة له

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٤٦٧٠)، وقال ابن حجر في الفتح: «وسنده لا بأس به» ٢٣٦/٩ في شرحه لحديث رقم: (٥٢٢٧)، وراجع بحث: الوسطية في العلاقات الأسرية للشيخ عبد المحسن بن عبد الرحمن النعيم: ١٤٠.

في الوصول إلى هدفه، ولو استذكرنا كثيراً من قضايا الخلافات الزوجية لرأينا أنها تنطلق من الفهم الخاطئ لسلوك الطرف الآخر، مما يستدعي هذا الفهم تفسيراً مثيراً، وقلقاً على المكانة والمنزلة التي يظن الظان أنها يجب أن تكون له، فيستشيط غضباً، وربما ترجم هذا الغضب إلى سلوكٍ قولي، أو سلوكٍ عملي، فإذا وُقِّع الزوجان في حوارٍ ناجح يقوم على المهارة والأدب، فإن الأوهام تتبدد، والحقائق تظهر، ومن ثمَّ تعود المياه إلى مجاريها، أما إذا توقفا عن الحوار، وبقيتا تلوكهما الشكوك، فإن الشيطان لهما بالمرصاد، والوسواس شغله الشاغل، ولن يترك هذه الفرصة لبث الأحقاد والكرهية في قلوبهما، فلماذا كل هذا؟! وبوابة الحوار الهادئ مشرعة على مصراعها، تدلف من خلالها القلوب إلى القلوب، وتجد على طريقها بغيتها من دون غيظ ولا حنق.

فالنبي صلى الله عليه وسلم هنا سارع إلى سد ثغرة الشكوك، وأوصد بوابة الاختلاف، بحوارٍ حكيمٍ يبين فيه ما أراه من دون مقاطعة فيه ولا استبداد؛ ليعيد نفس صاحبه وحببته إلى الطمأنينة وكامل الثقة أنها ما زالت على مكانتها وعلو منزلتها من قلبه، والقضية لم تأخذ سوى وقتٍ قصير، ولكنه مملوء بالحكمة والروية التي قطعت الطريق على اختلافٍ لا نعلم منتهاه ولا نعرف غايته. ١٢- وروي: « أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه كان مضطجعا إلى جنب امرأته، فخرج فواقع جاريتها له، فاستنبهت المرأة، فلم تره، فخرجت فإذا هو على بطن الجارية، فرجعت فأخذت شفرة، فلقيها ومعها الشفرة، فقال لها: مهيم؟! «أي: ما وراءك؟»، فقالت: مهيم؛ لو أدركتكَ لوجأت بين كتفيك بهذه

الشفرة، قال: وأين رأيتني؟ قالت: رأيتك على الجارية، فقال: ما رأيتني، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب! قالت: اقرأ، فقال:

أتانا رسولُ الله يتلو كتابَه كما  
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا به  
لاح مشهورٌ من الصبح ساطع  
موقناتٌ أن ما قاله وأقع  
بيتٌ يجافي جنبه عن فراشه إذا  
استثقلت بالمشركين المضاجع  
فقلت: «آمنتُ بالله، وكذبتُ البصر، ثم غدا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره، فضحك حتى رأيتُ نواجذَه صلى الله عليه وسلم»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى: أنه لما استقرأته أنشد قائلاً:

شهدتُ بأنَّ وعدَ الله حقٌّ  
وأَنَّ العرشَ فوقَ الماءِ طاف  
وأنَّ النارَ مثوى الكافرينا  
وفوقَ العرشِ ربُّ العالمينا  
ويحملة ثمانيةً شداداً  
ملائكةُ الإله مسومينا<sup>(٢)</sup>.

وتظهر هنا الحيلة الظريفة في التخلص من أزمة حوارية زوجية تكاد تضع الغيرة الفطرية فيها الزوجين في شجار شديد، ليمرَّ الموقف بسلام، من دون أن تكون له أضرار مستقبلية، وهذه المواقف لا تتخذ صفة الكثرة في حياتنا، ولذا لا ينبغي الإكثار من التورية أو الحيلة في الحوار حتى لا نبني بيوتنا على عدم الوضوح أو إخفاء الحقائق، وإنما هي سترة نجا فحسب، تتخذ في مثل هذه المواقف القليلة؛ درءاً للمفسدة الأعظم.

(١) روى هذا الأثر الدار قطنى في سننه (١٣)، ورواه البيهقي في الخلافيات (٢٢٢)، وفيه سلمة بن وهرام، قال عنه ابن حجر: «صدق» انظر: تقريب التهذيب: ٤٠٢.

(٢) روى هذه الرواية السبكي بسنده في طبقات الشافعية الكبرى ١/٢٦٤، وهذا الأثر اشتمل على شعر وقصة: أما الشعر فقد ورد بلفظ قريب من هذا اللفظ في صحيح البخاري في موضعين منسوباً إلى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فنسبته إليه صحيحة، راجع: صحيح البخاري (١١٥٥)، وكتاب الأدب (٦١٥١)، وأما القصة فقد صححها ابن عبد البر في الاستيعاب ٣/٩٠٠.

١٣ - وكانت امرأة عمران بن حطان من أجمل الناس وجهًا، وكان هو على عكس ذلك، فقال لها يومًا: « أنا وإيّاك في الجنة إن شاء الله تعالى، فقالت له: وكيف ذلك؟ فقال: لأنني أُعطيْتُ مثلك فشكرتُ، وأُعطيتِ مثلي فصبرتِ، والصابر والشاكر في الجنة»<sup>(١)</sup>.

لقد كان بإمكان هذا الزوج ألا يفتح هذا الحوار مع زوجته في هذا الموضوع الذي يعترف فيه بعدم وسامته أمام جمالها، غير أنه رأى ذلك فرصة حوارية سائحة لتسليتها في نصيبها هذا، ولا ريب أن هذا المعنى الذي ذكره لها يختلج في صدرها ولم تستطع أن تبوح به، فأن يكون البوح على لسانه لهو أبلغ في الكشف عن شعورها به، كيف وقد شاركها فيه وأكد عليه، وزاد على ذلك بالثناء على حسنها وبهائها! فلعلّ هذا ينسيها ما يعتربها من الأسى على ما فاتها فيه؛ لما يتركه الثناء والمدح في قلب المرأة من أثر بالغ في الرضا والشعور بالثقة والسعادة.

١٤- « حصل خلاف بين سعيد وزوجته أسماء في موضوع ما، وتطور الخلاف إلى نقاش حاد وغاضب، فناما تلك الليلة متخاصمين متضايقين، واستيقظت أسماء من نومها وأدركت بحكمة الزوجة الصالحة ألا يذهب زوجها إلى عمله وهو غاضب، فأخذت بطاقة صغيرة وكتبت عليها: ( صباح الخير؛ والله لم تظلم الدنيا قطُّ في عيني مثلما أظلمت يوم تركتك تنام وأنت غاضب.. سامحني)، ووضعت البطاقة عند رأسه على سرير النوم، واستيقظ سعيد من نومه ووجد البطاقة عند سريره، فقرأها وقام إلى زوجته وقال: أنت زوجة رائعة يا أسماء»<sup>(٢)</sup>.

الحوار الكتابي، والحوار الإلكتروني كفيل - بإذن الله تعالى - أن يخلص

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف، (٢/٤٦٥).

(٤) الحياة الزوجية، أ. منى عبد المحسن الشايع، ص: ٤٣.

المتخاصمين من صعوبة اللقاء أو الحيرة في البدء فيه خاصة بعد اشتداد الخصام أو امتداده إلى فترة طويلة، لأن العين - كما يقولون هي التي يظهر عليها الحياء - والكتابة بشتى أنواعها تكفيها في أداء مهمة طلب الصفح أو التسامح أو البدء في الصلح.

بل إن للكتابة لأثراً جلياً في تقصير مدة الاختلاف، وخاصة إذا كتبت بعبارة يظهر فيها الصدق، وإن لم تكن بليغة أو منمقة، والتجربة تثبت أن عدداً من الأزواج والزوجات يحتفظون بهذه القصاصات الورقية كذكرى جميلة لعودة كريمة.

١٥- وحينما كنت على مكتبي في مركز التنمية الأسرية تلقيت استشارة حدثني صاحبته عن مشكلتها مع زوجها الذي تركها عند أهلها منذ عشرة أيام، ولما انتهت قالت لي: في هذه الليلة سيجتمع بعض الأقارب مع زوجي ليحلوا المشكلة، فقلت لها: هل ستكونين معهم؟ قالت: لا، فعجبتُ، ثم قلتُ لها: هل تحدثتِ مع زوجك بالجوال خلال العشرة الأيام الماضية؟ قالت: لا، فعجبتُ أيضاً وقلتُ: هل كتبتِ له رسالة لطيفة تتوددين له وتذكرينه بأجمل الأيام، وأنَّ لكل مشكلة حلاً بإذن الله.. أو نحو ذلك؟ فقالت: لا.. فأكمل عقد العجب لدي!! إذ كيف يمكن أن نحل مشكلاتنا من دون أن نبذل أدنى وسيلة للحوار بيننا! فقلتُ لها: أرجو أن توفيقي هذا اللقاء الذي سيتم بين أقاربك الليلة.. فالحياة حياتك وأنتِ لن تحضري فكيف ستفقان؟!.. فقالت لي: خيراً، وكانت في قمة الهدوء والتفهم والاستجابة، ثم طلبتُ منها أن ترسل رسالةً على هاتفها الجوال إلى زوجها تتلطف فيها إليه، وتدعوه إلى إعادة المياه إلى مجاريها العذبة بالحوار الهادئ والكلمة الطيبة ونحواً من ذلك، فقالت: سأفعل ما تشير به علي!

وفعلًا أرسلت الرسالة، وردَّ عليها بتجاوب سريع، ورحَّب بها لتعود إلى بيتها، ثم اتصلت لتخبرني بذلك، ففرحتُ لهذا التجاوب الرائع، غير أنها لم تفرح! فقلت لها: ما الأمر؟

- فقلت لي: إنني إن ذهبتُ إليه سيضريني!
- فسألتها: هل ضربك سابقًا؟
- أتذكر أنها قالت لي: لا لم يسبق له ذلك.
- فقلت لها: اذهبي والله معك، ثقي في الله ثم في زوجك، إن بينكما حياة وأولادًا، لعله تذكر ذلك كَلَّه فتراجع عن إعراضه عنك، اذهبي إلى زوجك وأولادك بنية طيبة وقلب نظيف.
- أشعر بأني جرأتُ على ذلك فلعلَّ بينها وبينه شيئًا من القسوة لم تذكرها لي، ولكنني دعوت الله لها.
- فاتصلتُ عليَّ في اليوم التالي وقالت لي: أنا أكلّمك الآن من بيتي وبين زوجي وأولادي.
- فقلتُ لها: هل ضربك زوجك يا امرأة؟
- فقالت: لا، بل استقبلني بما لم أتوقعه منه، استقبلني بحفلة جميلة، وقد علّق فيها الزينة والبالونات والورود!!
- فحمدتُ الله تعالى على توفيقه، وتذكرتُ كم للكلمة الطيبة في الحوار ولو كانت موجزة مختصرة عبر رسالة قصيرة من أثر رائع وجميل، فلماذا لا نتحاور؟

### اللافتة التاسعة

#### الحوارُ عقدٌ يجب أن يكتملَ

إننا لا نريد أن نكون ممن يأخذ ببعض آداب الحوار ومهاراته ويدع أكثرها، ثم نزعم أنه لا فائدة منه .

فكم هو جميل أن نستفيد بعض فنون الحوار بالاستشارة، والأجمل منه أن نتعلم كيف نحلها بأنفسنا .

وكم هو جميل أن نحضر برنامجاً في مهارات الحوار والاتصال الفعّال، والأجمل منه أن نزيد على ذلك بالقراءة في فنونه وآدابه .

وكم هو جميل أن نبدأ في تطبيق ما تعلمناه وتدريبنا عليه، والأجمل منه أن نستمر في تطبيقه .

وكم هو جميل أن نراقب نجاحنا وإخفاقنا في حواراتنا الزوجية، والأجمل منه أن نستفيد من النقد والتوجيه والنصح والتذكير من الطرف الآخر أو غيره .

وكم هو جميل أن نسعد بإتقان بعض مهارات الحوار ونعززها في أنفسنا وفي طرفنا الآخر، والأجمل منه أن نكمل عقدها الجميل لتتقن بقيتها وليس هذا - بعون الله - بعسير .

إن اللباس، والصوت، والجسد، والجمال، وتنسيق المنزل، وإدارة الوقت والمال، كلها تضيفي على الحياة جمالها وحيويتها، غير أن الحوار هو الذي سينقش في الذاكرة، وهو الذي سيبقى لحنه في الأذن، وأثره في القلب .

إنه عقد الحوار الجميل الذي يجب أن يكتمل؛ لنستلذ بطعمه الغني بالسعادة والفرحة والانسجام .

## اللافتة العاشرة

### ثلاثون همسة حوارية

١. لن نستطيع أن نحقق أهدافنا من الحوار إلا بعد أن نؤمن بأهميته وجدواه.
٢. على الزوجين أن يدركا أن أفهامهما ومعلوماتهما متفاوتة، وليشعر الحوار بينهما بالأمن، لا بد من أن يتقارب كلٌّ منهما إلى الآخر بقدر المستطاع صعوداً أو نزولاً، ولن يتحقق ذلك في وقت قصير، بل يحتاج إلى أمد، وربما يكون بعيداً.
٣. ليحرص الزوجان في الحوار على نقطتين: البدء، والانهاء، فهما نقطتان مغبون فيهما كثير من الناس.
٤. لتكن كلُّ القضايا الزوجية صالحةً للحوار، لا يستثنى من ذلك شيء، ما دام الهدف هو الوصول إلى السعادة والأنس، والقضايا الجنسية ليست بمنأى عن ذلك، بل لعلها تكون في الصدارة؛ لأن الدراسات تثبت أن أكثر المشكلات تدور حولها.
٥. لتتعلم المؤثرات اللفظية وغير اللفظية في الحوار التي توحى للطرف الآخر بما يجول في خاطر المحاور من الحب والشفقة وعدم إرادة الشحناء، مثل: الهمس، وتأكيد الكلمات الجميلة بتكرارها، والقبلة، والاحتضان، ونحو ذلك.
٦. كلما كان الحوار بين الزوجين هادئاً هامساً ( رومانسياً ) كان أبعد عن التشنجات، وأقرب إلى الحب والمودة، فليتجنبنا أسلوب التحقيق، والأسئلة الحادة، والاستفسارات الدقيقة، فالعفوية سر من أسرار الشوق إلى حوار جديد ممتع.



٧. يجب أن يتمالك المحاور نفسه، ويضبط لسانه، ويتفنز في إنصاته، ويدير انفعالاته بمهارة، ليستوعب كل ما يطرحه الطرف الآخر من أفكار، ليكون بعد التريث والتأني موقفًا صحيحًا لا يندم عليه، ولا يتمنى غيره.
٨. إن حسن المظهر في أثناء الحوار والتجمل للطرف الآخر والتزين بأنواع الزينة الأخاذة له أثره الكبير على تقبل الرأي، وهدوء النفس، وانشراح النفس، والمبادرة لاستخدام لغات أخرى في الحوار.
٩. لتكن حواراتنا أقرب إلى التشاور، ليشعر كل منا بقيمة في الحوار، ولا نعجل باتخاذ القرارات، حتى لا نتعثر أو نندم.
١٠. لتكن حوارتنا الزوجية داخل أسوار الزوجية وليس بالشرط داخل أسوار المنزل، المهم ألا تتسرب إلى الآخرين.
١١. ليس كل حوارات حل المشكلات يجب أن تتوارى عن أعين الأولاد، بل لا مانع أن يكون بعضها أمامهم مادام أننا نلتزم بأداب الحوار ومهاراته، فهذا يكسبهم فنونه.
١٢. ليحاول الزوجان أن يتدربا على التخلص من الضغوط الخارجية، حتى لا تؤثر سلبيًا في حياتهما عامة، وحتى لا تفسد عليهم متعة الحوار خاصة.
١٣. إن استخدام أنواع مختلفة من الحوارات يخفف من الضجر من الطريقة التقليدية المكررة، فما أجمل استخدام التقنيات الحديثة في تنشيط الحوارات بين الزوجين، والاستمتاع بها.
١٤. ليكافئ الزوجان نفسيهما عند نجاحهما في أي حوار ولو بين الحين والآخر.

١٥. عند حصول أي حوار يفقد بعض عناصر النجاح، فعلى الزوجين أن يسترجعا نجاحهما في حوار سابق؛ ليشعرا نفسيهما بأنهما قادران على تجاوز السلبية في حوارهما الحالي.

١٦. الخلافات شيء، والعلاقات شيء آخر، وإن كانت الأولى لا تقع إلا ضمن الثانية، لكن استمرار الأولى، لا يعني قطع الثانية، ولا يكون ذلك إلا بتفعيل الحوار بوصفه أداة تفاهم ولقاء وإصلاح وانسجام.

١٧. على الزوجين أن يتذكرا أن كثيراً من الكلام الذي سي طرح في الحوار سينسى، وسيبقى نوعان من الكلام: الكلام العذب، والكلام البذيء، فليختر المحاور ما يفرضه عليه دينه وشرفه من هذين النوعين.

١٨. لا يمكن أن أدعو الزوجين إلى التخلي عن كل آرائهما في أثناء الحوار بدعوى التآلف، ولكن إن لم يتنازلا عن بعض ما يمكن التنازل عنه، فلن يحققا ذلك التآلف.

١٩. «التحدي»، و«الصادمة»، و«مصادرة الرأي»، و«الكبرياء»، و«سوء الظن»، كل هذه المعاني يجب ألا تتسلل إلى الزوجين في أثناء حوارهما؛ لأنها تفسده أيما إفساد.

٢٠. ليبتعد كلٌّ من الزوجين عن (الأنا) ليتحول حوارهما إلى (نحن)، فالحياة الزوجية ليست لواحد منهما دون الآخر.

٢١. الصراحة بين الزوجين في الحوار مطلوبة، غير أنها لا بد أن تُزيّن بالأدب والاحترام وحسن الاستهلال واختيار الظرف المناسب في الزمان والمكان.

٢٢. ليس من شرط الحوار الناجح بين الزوجين أن يغلقا الملف في جلسة

واحدة، ولكن الأفضل ألا تتراكم الملفات فيثقل إغلاقها، ويزداد تأثيرها في حياتهما.

٢٣. ليتوقع كلا الزوجين من الآخر أي ردة فعل من حوارهم معه، وليعلم أن وراءها ما تمخضت عنه: إما أن يكون نمطاً من أنماط شخصيته، وإما إرهاباً متزامناً مع حالة طارئة: كالمرض أو الحيض أو الحمل أو نحو ذلك، فلا ينبغي أن يبني عليها حكماً، أو يهدم بها حباً.

٢٤. إن اختلفتما في بعض نقاط الحوار، فتذكرا أنكما متفقان على نقاط أكثر.

٢٥. إن تركك الجدال العقيم لا يدل على أنك غير محق؛ يدل على حكمتك وأتانتك، واتباعك هدي النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول: (مَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَهُوَ بَاطِلٌ بُنِيَ لَهُ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ فِي وَسْطِهَا وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ بُنِيَ لَهُ فِي أَعْلَاهَا) (١).

٢٦. اطلب من شريك حياتك التوقف عن الحوار حينما يكون الطرف الزماني أو المكاني أو الصحي غير مناسب، وليكن ذلك بلباقة وحسن أدب.

٢٧. إن فشل أي حوار لا يعني نهاية المطاف؛ فالحياة الزوجية لها ظروفها المختلفة والمتقلبة، فعلى الزوجين تفهم الحالة الحاضرة، وتذكر كل ما يربطهما من أواصر الألفة والذكريات الجميلة والأولاد، وأن هذا ما لا تخلو منه كل البيوت.

٢٨. التفاؤل في نجاح حواراتنا مطلب شرعي، فنعد صياغة ما يتردد في

(١) رواه الترمذي وحسنه، (١٩٩٣).

ذواتنا ولننقل: سننجح في حواراتنا، وسنوفق فيها، وسنسعد بها بإذن الله تعالى، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ( لا طَيْرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ )<sup>(١)</sup>.

٢٩. لنجدد معلوماتنا حول الحوار الزوجي، ولا نكتفي بما أخذناه منها، فالعلم بحر لا ساحل له، والحياة تتجدد، فلا بد أن نجدد لها ما يجب أن يجدد. لتواصل مع مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني عبر كل الوسائل المتاحة للاستفادة من برامجه ومؤلفاته المتقنة والتميزة، والتي يقدمها مشكوراً لكل مستفيد في مناطق المملكة ومحافظاتها المختلفة.





## الخاتمة

### الخاتمة

في ختام هذه الجولة الحوارية بين الزوجين، أحمدُ الله تعالى على تيسيره، ثم أشكركما أيُّها الزوجان الكريمان أنْ منحتما من وقتكما الثمين فرصةً لأعبر لكما عن صدق مشاعري نحوكما:

- لأنني أحبُّ لكما الخيرَ..
- لأنني أحبُّ لكما السعادةَ..
- لأنني أحبُّ لكما الفرحةَ والمتعةَ..
- لأنني أحبُّ لكما التناغمَ والانسجامَ..

ولتعلمنا أن أسرتكما ووطنكما وأمتكما بحاجة إلى نجاحكما في حياتكما.. فلتتحوارا بصدق، ولتتشارورا بعفوية، وليكن كلُّ منكما أُمُودًا فريدًا في حسن التأدب وحسن التبعل، وليعذر بعضُكم بعضًا، وليتغافل بعضُكم عن زلة بعض، ولا تتركوا للشيطان فرجةً، فإنه أحرص ما يكون على تهيج الخلاف بينكما، وإذكاء الشحنة في صدريكما.

جميلٌ حوارٌ كما حينما يلفه الهدوء، وترفرف عليه السكينة، وتهدهده النظراتُ واللمساتُ الحميمة، ليكون كلُّ حوار بذاته ذكرى جميلةً في عمرٍ زواجي سعيد.

انطلقا بالحوار نحو آفاق الطاعة والبر والإحسان، واتخذنا منه زورقًا يبحر في فضاء العطاء التربوي بين أولادكما، والتماسك الاجتماعي بين لبنات مجتمعكما، والبذل السخي لنشر دينكما.



وهأنذا أذكركما بسؤالي الذي طرحته عليكم في مقدمة كتابي هذا؛  
لأضع أصبعي على الجواب هنا أو أشير إليه بين لافتات الكتاب :

ما هو إسهام الزوجين في تحقيق المقاصد النبيلة التي تضمنها قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ( الروم: ٢١ ) ؟:

• هل يمكن أن يحققا هذه المقاصد النبيلة بالتسلط والغطرسة ؟

والجواب: أن التسلط والغطرسة من جهة وهذه المقاصد الربانية من جهة أخرى ضدان لا يلتقيان، وفي الحوار السلبي يظهر التسلط في الرغبة الجموح في نقل الفكرة والرأي بطريقة أحادية لا تقبل الإنصات للطرف الآخر، ولا تسمح له بالحديث، بل يُمنع منه في أنانية مفرطة، يقطع بها المتحدث حبال الوصل معه، ولا يرحم فيه خاطراً، ولا يقدر فيه عقلاً، والاستئثار بالحديث ومقاطعته عددهته الخامس من الخطوط الحمراء التي أشرت إليها في اللافتة الرابعة .

• هل يمكن أن يحققا هذه المقاصد الربانية بالعنف ( قولاً وفعلاً ) بكل ألوانه القائمة ؟

والجواب: بالطبع لا يمكن ذلك، وغالباً أن مَنْ يقع تحت سيطرة انفلات الأعصاب، هو من يفقد المهارة في الحوار؛ فلا يعرف كيف يبدأ ولا كيف ينتهي، ويجهل اختيار الأوقات والأماكن المناسبة التي تصلح للحوار، ويفقد اللغة الجميلة على لسانه، فلم يبق لنفسه حينئذٍ إلا الجهل ليكون بربداً إلى العنف، فيشقى به المعنّف والمعنّف، ولو علم ما في الحوار من الرفق بالنفس والرفق بالآخر لما ارتضى بغيره بديلاً عنه، وهذا ما أشرت إليه في النقطة الأولى من اللافتة الثالثة .

• هل يمكن أن يحققها بتجاهل المشاعر وإهمال الأحاسيس؟

والجواب: لا يمكن أبداً، فإن تجاهل المشاعر كبت لها، وأجمل الوسائل لإطلاقها على وجه صحيح وحضاري هو الحوار الناجح؛ الذي يكفل للطرفين مساحة للتنفيس عما يختلج في النفس، ولا يدعها تتراكم حتى تصل إلى حالة من الاكتئاب أو القلق أو الانفجار، وأيُّ أذن ستكون أصغى وأخلص في استماعها من أذن الزوج إلى زوجه؛ فإن لدهما من الحاجة إلى ذلك ما يبينان به حياتهما، ويشكلان به سعادتهما، وقد بينت هذا في النقطة السابعة من اللافتة الرابعة.

• هل يمكن أن يحققها هذه المقاصد النبيلة بالتعنت وتوليد المشكلات

وعدم القدرة على إنهاؤها؟!

والجواب: لا يمكن ذلك، فلم يقع التعنت في شيء إلا زاده بلائاً ومصائباً، وحسرة وندماً، وإن وهم صاحبه أنه منتصر أو قوي؛ لأنه حينما يفقد - بسبب تعنته - ما يحب من السكن والأنس بزوجه يتمنى حينها أن لو تحاور معه بالروية والحكمة والأدب والخلق الرفيع، كما يتمنى كثيرون ممن غلبهم التعنت أن لو تنازلوا عن بعض رغباتهم من أجل أن تعود الحياة سعيدة من جديد لا كدر فيها ولا شحناء، وتلك هي اللغة الثالثة من لغات الحوار أوردتها في اللافتة السابعة.

• هل يمكن أن يحققها هذه المقاصد النبيلة بعدم معرفة فنون التواصل

والتدرب على مهارات الحوار التي هي سحر البيان ومفتاح القلوب

وبهجة النفوس؟

والجواب: هو أن نجرّب معرفة هذه الفنون ونتدرب عليها بكل وسيلة ممكنة لنقيس أنفسنا: أين موقعنا الحقيقي من تلك المقاصد (السكن، والمودة،

والرحمة) سابقاً؟ وأين موقعنا بعدها؟ وقد نثرتُ هذه الآداب في ثنايا هذه الكتاب مدعمة بكلام الله تعالى وكلام الرحمة المهداة عليه الصلاة والسلام، وكلا

وختاماً.. أيتها الزوجان الكريمان: هذه سطورى وضعتها بين أياديكما الكريمة، لأجد منها تلقفاً يبهجني، وانتفاعاً يسعدني، ونقداً هادفاً يقوِّمني، والله بصير بعباده، ولطيف بهم، يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم، وأستغفره من كل خطأ أو زلل، إنه غفور رحيم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



## المصادر والمراجع

## ثبت المصادر والمراجع

- الأدب المفرد، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، خرّج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، صنع فهرسه: رمزي سعد الدين دمشقية، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، بإشراف: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- أسرار الحوار والإقناع، أ. سليمان بن عوض قيمان، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، إدارة الدراسات والبحوث والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- أنساب الأشراف، للبلاذري، القسم الثالث: العباس بن عبد المطلب وأولاده، تحقيق الدكتور: عبد العزيز الدوري، دار النشر قرانتس شتاينز بقنيسبادن، بيروت ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- الإهمال عدو الحياة الزوجية، عبد الله الجعيثن، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- تاريخ مدينة دمشق، تصنيف الإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩هـ - ٥٧١م)، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، ١٤١٥هـ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- التربية بالحوار، للأستاذ الدكتور: عبد الكريم بكار، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، إدارة الدراسات والبحوث والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

- التفاهم في الحياة الزوجية، د. مأمون مبيض، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (٧٧٣هـ - ٨٥٢هـ)، حققه وعلّق عليه ووضّحه وأضاف إليه أبو الأشبال الصغير أحمد شاغف الباكستاني، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، النشرة الأولى، ١٤١٦هـ.
- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، وهو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، (٢٠٩هـ - ٢٧٩هـ)، بتحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- الحوار آدابه ومنطلقاته وتربية الأبناء عليه، الأستاذ: محمد شمس الدين خوجة، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، إدارة الدراسات والبحوث والنشر، الطبعة الخامسة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- الحوار الأسري التحديات والمعوقات، د. حصة بنت عبد الرحمن الوائلي، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- الحياة الزوجية، جمع وإعداد أ. منى عبد المحسن الشايع، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- الخلافات، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (٣٨٤هـ - ٤٥٨م)، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار الصميعي بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (٢٠٢-٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية.
- سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (٢٠٧هـ-٢٧٥هـ)، مع زوائد البوصيري، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المطبوع مع شرح جلال الدين السيوطي، وحاشية السندي، اعتنى به ورقمه ووضع فهرسه: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الثالثة المفهرسة ببيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ-١٣٧٤هـ)، حققه جماعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- شعب الإيمان، مطبوع في حيدرآباد الهند.
- صحيح ابن حبان، للإمام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبي حاتم التميمي البستي، السجستاني، بترتيب ابن بلبان علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، حققه وخرج وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المطبوع مع فتح



الباري لابن حجر العسقلاني، قام على تحقيقه وإخراجه وترقيمه ومراجعته: عبد العزيز ابن عبد الله بن باز، ومحب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وقصي محب الدين الخطيب، دار مطبعة السلفية بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

- صحيح مسلم بشرح النووي، نسخة مقابلة على نسختين خطيتين موافق للمعجم المفهرس لألفاظ الحديث، بإشراف: حسن عباس قطب، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، (٧٢٧هـ-٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الخلو، محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية.
- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- العلاقات الزوجية فنون وأسرار، د. حاتم آدم، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر، وهو أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ومعه فتح المجيد في اختصار تخريج أحاديث التمهيد، رتبه واختصر تخريجه محمد بن عبد الرحمن المغراوي، مجموعة التحف والنفائس الدولية، بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، المتوفى

- سنة ٢٧٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية لسنة ١٣٤٣هـ، ١٩٢٥م.
- فن التعامل مع الأزواج، د. فهد خليل زايد، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م.
  - فن التواصل بين الزوجين، أ. د. سحر طلعت، إسلام أون لاين، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
  - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق.
  - الكامل في ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، الطبعة الثالثة، منقحة وبها تعليقات وزيادات كثيرة، دار الفكر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
  - كيف تعيشان حياة زوجية سعيدة، جمال ماضي، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
  - لغات الحب الخمس، جاري تشابمان، مكتبة جرير، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
  - مثلث التوافق الزوجي، د. وداد العيسى، دار اقرأ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
  - المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين بن محمد الأبشيهي، دار القلم.
  - مسند أبي يعلى الموصلي، للحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي، ( ٢١٠ - ٣٠٧ هـ )، حققه وخرّج أحاديثه: حسين سليم أسد، دار الثقافة

- العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- معجم لغة الفقهاء، وضع: أ.د. محمد رواس قلعجي، و.د. صادق قنيبي، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
  - مهارات التواصل بين الزوجين، د. عادل هندي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
  - لسان العرب، لابن منظور، طبعة اعنتى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.
  - الموطاء، للإمام مالك بن أنس، فهرسة وتقديم قسم الدراسات بدار الكتاب العربي، دار الريان للتراث بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
  - موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ج)، إعداد مجموعة من المتخصصين بإشراف: د. صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، والأستاذ: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح مدير دار الوسيلة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
  - الوسطية في العلاقات الأسرية للشيخ عبد المحسن بن عبد الرحمن النعيم، رسالة ماجستير في تخصص الفقه والأصول، بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، ١٤٢٨هـ-١٤٢٩هـ.

## قواعد النشر في السلسلة

١. أن يكون الكتاب معنياً بإشاعة ثقافة الحوار، محققاً لأهداف المركز وتطلعاته.
  ٢. أن يتسم بالجدة والأصالة.
  ٣. أن يتبع المؤلف أسس المناهج العلمية توثيقاً وصياغة.
  ٤. تخضع جميع البحوث المقدمة لهيئة تحرير السلسلة للتدقيق والمراجعة.
  ٥. ألا يكون قد سبق نشره في مكان آخر.
  ٦. أن يكون الكتاب ذا صلة بالواقع والأحداث المعاصرة.
  ٧. يتراوح الكتاب من ٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ كلمة.
  ٨. يقدم المؤلف ثلاث نسخ مطبوعة من كتابه ونسخة إلكترونية على قرص (CD)، وملخص وجيز في حدود ثلاث صفحات.
  ٩. إرفاق سيرة ذاتية للمؤلف.
  ١٠. يتم إحالة البحث إلى فاحصين لإجازة البحث قبل نشره.
  ١١. يمنح المؤلف مكافأة مالية، إذا أجاز للنشر مع (١٠٠) نسخة من كتابه.
  ١٢. المكاتبات توجه إلى أمين هيئة تحرير سلسلة رسائل في الحوار، عبر البريد الإلكتروني (rs@kacnd.org)
- فاكس: ٢٦٦٥٧٧٨ ١١ ٩٦٦ + هاتف: ٢٦٦٥٧٧٧ ١١ ٩٦٦ +  
ص.ب: ٨٩٨٦٦ ، الرياض: ١١٦٩٢





## مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

ص.ب. 89866 الرياض 11692  
المملكة العربية السعودية  
P.O. Box 89866 Riyadh 11692,  
Kingdom of Saudi Arabia



+966 11 2665777



+966 11 2665778



info@kacnd.org



www.kacnd.org